
رواية
آرس
أحمد آل حمدان


آرس

رواية



أحمد آل حمدان



I_ahmedalhmdan

الطبعة الأولى

١٤٤٥ – ٢٠٢٣

إذا كنت لستَ مستعداً للحقيقة أنصحك بأن لا تقلب هذه الصفحة أعد الرواية حيث كانت، وانتقِ كتاباً آخر

لماذا قلبت الصفحة؟!

ما زال بإمكانك التراجع

هل أنت متأكد؟!

أتعرف ما هو أسوأ من الموت؟!
إنّها الحقيقة التي تنتظرك بالداخل

١

إنها إحدى الليالي الأكثر هدوءاً،

كان القمر مكتملاً في قلب السماء وقريباً من الأرض؛

كما لو أن القمر تلك الليلة قرر أن يحطم كل قوانين الطبيعة ويقترب عامداً متعمداً من هضبة نجد؛ ليستنشق من هواء صحرائها الطيب.

وبالرغم من اكتمال القمر،

إلا أن النجوم كانت حاضرة ببريقها اللؤلؤي الجميل تملأ صفحة السماء، كما لو أنها أرادت أن تكون شاهدة على ما سيحدث في يوم الغد وتحديداً عند **الساعة الثانية عشرة ظهراً ودقيقة واحدة.**

**

تتوقف السيارة السوداء ذات الدفع الرباعي أمام بوابة أحد الفيلل يهبط منها "**هاشم**" وهو يُمسك بيده بعض الأكياس التي كان قد ابتاعها للتو من المتجر.

يسير بضع خطوات متجهاً إلى منزله وثمّة شعور رائع يُخامر قلبه بعد أن

هبّت نسمة هواء عليلة داعبت جسده الطويل متناسق الأبعاد، أخرج مفتاح منزله وفتح الباب:

- عزيزتي لقد جلبتُ لكِ ما طلبتهِ.

لم يأته الرد؛ فعاد يناديها: أتسمعينني يا **بلقيس**؟!

بدا المنزل خالياً منها على غير العادة؛ ما دفعه ليتساءل في نفسه عن أسباب غيابها.

رنّ هاتفه؛ نظر إلى الشاشة فوجدها المتصلة.

**

إن المحبة الصادقة تخلق بين الشخصين شيئًا يُسمى **هالة الحبل الأثيري** ما يجعل توارد الأفكار والمشاعر بينهما أمراً ممكناً؛ وهذا ما يفسر أحياناً السبب الذي يجعلنا نتلقى اتصالاً أو رسالة من شخص ما كنّا نفكر فيه تلك اللحظة.

كانت بلقيس - تؤمن بوجود هالة الحبل الأثيري - وتؤمن أيضاً بأنه مع بعض الإيمان والتدريبات قد يصبح الإنسان بمقدوره استخدام تلك الطاقة وترويضها لخدمة مصالحه.

أما هاشم فقد كان من ذلك النوع الذي يستمع لتلك الأشياء من باب التسلية فقط لكنه لا يؤمن بوجودها؛ وكان يصرّ على معاندة بلقيس والسخرية من أفكارها أحياناً.

وهذا السبب هو ما جعله يختار ألّا يخبرها أنه كان يفكر فيها قبل أن تتصل عليه؛ حتى لا تتخذ ذلك الأمر دليلاً ضده على وجود ما يُسمى بهالة الحبل الأثيري.

ضغط زر الرد وجاءه صوتها الرقيق المحبب إلى قلبه:

- أهلًا بالحبيب لقد اتصلتُ عليك لأقول أمرًا مهمًا.

ثم بادرته قائلة دون أن تمنحه الفرصة ليسألها عن الأمر المهم:

- أنا وابنتك اشتقنا إليك.

- أما زلتِ مصرّة على أنه يمكنك التواصل معها؟

لم تعجبها النبرة الساخرة في سؤاله، فقالت:

- أتعتقد أنني مجنونة؟

- بصراحة، نعم.

- أغلب الدراسات تقول ذلك

- تقول إنك مجنونة؟

- لا .. بل تقول إن الأم تستطيع الإحساس بالجنين وهو ببطنها، أتريد أن تعرف ماذا تقول ابنتك أيضًا؟!

قال وقد هزمه الفضول:

- ماذا تقول؟!

- تقول إنك أفضل أب قد تحصل عليه أي ابنة في هذا العالم، وتقول أيضًا إنك أكثر الأشياء حُبًّا إلى روحها وقلبها وإنك قدوتها المختارة وبطلها الخارق...

خلق كلامها الخيالي ذاك ابتسامة لطيفة على وجهه،

لقد فقد هاشم والديه حين كان صغيرًا - إثر حادث مروري - وكان يتمنى طوال عمره أن يُصبح لديه أبناء ينادونه بكلمة "أبي" وأن يرى في . أعينهم لمعة الحُب .. تلك اللمعة التي كانت عيناه طوال حياته مُنطفئتين منها

لذلك حين بشّرته بلقيس بخبر حملها - بعد عام من الزواج - أحس بسعادة غامرة تحيط به كما الصَّدفة في قاع الماء تُحيط بـ لؤلؤتها، فبات يشعر أنه بذلك الخبر السعيد قد حُصّن للأبد ضد أي حزن قد يحاول يومًا التسلل إلى قلبه.

ومنذ ذلك اليوم أصبحت لديه عادة غريبة:

لقد كان عندما يستلقي إلى جوار زوجته يضع يده برفق على بطنها المنتفخ،



لطالما اعتقدت بلقيس أنها حركة عادية .. بينما في الحقيقة لم تكن كذلك، فقد كان هاشم يفعل تلك الحركة وكأنه بما يصافح الجنين المتكون في بطنها.

لم يكن هاشم يكتفي بتلك المصافحة الخيالية فقط، بل كان يحادثه - يحادث الجنين - في سره طوال الليل، فيقطع له المواثيق والعهود بالبقاء دائمًا معه وبمنحه الأمان والحماية للأبد.

كان يظل يتحدث معه سرًّا حتى يغشاه التعب وينام أخيرًا.

**

سار هاشم نحو المطبخ،

وضع المكالمة على وضع "الاسبيكر" ثم أكمل حديثه مع بلقيس وهو يقوم بتصفيف الأغراض التي جلبها من المتجر داخل رفوف الثلاجة:

- أين أنتِ أيتها السمينة لقد عُدت للمنزل فلم أجدكِ.

- في الممشى

- ماذا تفعلين هناك ؟

- أفعل مثلما يفعل الناس عادة في الممشى: أرقص.

ارتفع صوته بالضحك، تساءلت بلقيس: لماذا تضحك؟

- تخيلتُ المنظر؛ سيكون من المضحك رؤية فيل صغير يرقص في مكان عام.

- كفاك سخرية على بطني!!

- أنا لا أسخر منكِ يا عزيزتي أنا أتنمر عليكِ فقط. - آه، شكرًا للتوضيح.

سألها وهو يواصل تصفيف الأغراض:

- ألا يفترض بك أن ترتاحي في هذه الفترة؟!

- لقد نصحتني الطبيبة بممارسة المشي لآخر لحظة .. قالت إن هذا الأمر من شأنه تسهيل عملية الولادة ... وهناك شيء آخر قالت إن من شأنه تسهيل الأمر أكثر

- ما هو ؟

- ألا يتنمر زوجك عليكِ .. وأن يسمعكِ كلاما حلوًا.

- متأكدة أن طبيبة النساء والولادة من قالت ذلك؟

- نعم متأكدة، هيا غازلني لو سمحت.

- ألا يكفي أنني أدُللكِ عندما أناديك أحيانًا بلقوسة؟

- لا أدري كيف أصارحك أن اسم الدلع هذا يُصيبني بالحموضة.



ابتسم هاشم من وراء الهاتف، بينما أصرّت بلقيس:

- غازلني لو سمحت!!

- تعرفين أنني لا أجيد ذلك.

- حاول ولو لمرة واحدة في حياتك!!

لقد كان يحمل لها حُبًّا يُشابه حب المسجون إلى الحرية.

ولكن بطبيعة المجتمع الشرقي الذي عاش فيه واستمد طباعه منه، كان هاشم يشعر بالحرج في التعبير عن مدى حُبه لزوجته فكان يلجأ للمزاح كطريقة للهروب من الموقف.

من بين كل النساء، أنتِ أجمل فيلة صغيرة رأتها عيني يا بلقوسة.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، لا فائدة منك .. لا فائدة

- ألم تعجبكِ محاولتي؟

- ليتك استخرت الله قبل أن تحاول

في الحقيقة كان لهاشم نمط حياة يتسم بالجدية والصرامة - بحكم طبيعة عمله الجادة والقاسية - ولم يكن ثمّة أحد بمقدوره خلق الضحكة على وجهه العابس غير بلقيس.

لقد كانت امرأة مختلفة بكل المقاييس



وربما يعود سبب اختلافها ذاك هو لإدراكها حقيقة الرجال:

حيث إن الرجال يُشبهون الطيور المهاجرة؛ إنهم لا يؤمنون بمبدأ الثبات فوق رقعة أرض واحدة .. إنهم لا يلبثون طويلًا داخل عُش امرأة حتى يبدأ الملل بالزحف إلى قلوبهم فيسارعون للبحث عن عُش آخر يخوضون فيه مغامرة جديدة.

لذلك فإنها حرصت منذ البداية على ألَّا تكون له الزوجة فقط.

فكانت له الأم والأخت والصديقة الطيبة - ورفيقة السوء - وكل العلاقات التي قد يوسوس له الشيطان بالتفتيش عنها.

قالت متسائلة:

- هل وافق رئيسك في العمل على إجازتك؟

- لقد ظننته يمزح في البداية، ولكنه وافق عليها بالفعل.

وأردف هاشم يقول معبرًا عن مدى فرحته:

سبعة أيام من عدم مجابهة الموت كل لحظة، هذا أمر لا يُصدق.

قال ذلك وهو لا يدري أن الموت كان معهما على الخط تلك اللحظة، يستمع لأحاديثهما ويبتسم بخبث.



قالت مقترحة:

- ما رأيك بهذه المناسبة أن تأتي لتمارس المشي معي؟!

- في هذه الأثناء هناك شيء آخر أريد أن أمارسه - وأضاف:

- إنها رياضة النوم.

قالت مازحة بنبرة صديق يُغري صديقه المراهق بالخروج معه:

- تعال، صدقني ستجد الكثير من الفتيات الجميلات هنا.

- صدقيني، لا أحد يملأ عيني غيرك.

- ألهذه الدرجة تحبني؟

- بل لأنكِ سمينة في نظري؛ فلا تعطينني فرصة لأرى غيرك أحد.

بردة فعل عفوية وسريعة:

- أنا مضطرة لأن أغلق الخط الآن - وأردفت مُبررة:

- لأني سوف أجهض ما ببطني لو استمرت هذه المكالمة لبضع ثوان أخرى.

أغلقت الخط وهو يضحك..



واصلت بلقيس المشي حتى تسلل إليها التعب، وجلست فوق أحمد المقاعد العامة،

كانت فتاة تُشبه البحر: تبدو عادية لمن ينظر إليها من بعيد،

لكنها أعمق بكثير مما قد يظنه أحد.

مرّ بعض الوقت قبل أن تنتبه لخلو الممشى من الناس وأنها الوحيدة الباقية هناك، نظرت إلى هاتفها بغية أن ترى الساعة ولكنها وجدت هاتفها مُغلقًا فهمست لنفسها قائلة:

- لقد نفدت البطارية يجب أن أعود للمنزل؛ حتى لا يقلق هاشم.

**

وللعودة للمنزل كان عليها قطع الشارع العام أولًا وقفت قليلًا فوق الرصيف، نظرت يمينًا وشمالًا لتتأكد من خلو الشارع من السيارات ثم عبرت... ولكنها - وهي تعبر - لم تنتبه للسيارة المسرعة نحوها

كانت السيارة تسير بمصابيح مُطفأة وسرعة جنونية، أرادت بلقيس تفادي الاصطدام، ولكنها لم تستطع بسبب الثقل الذي يُسببه لها الحمل وبسبب اقتراب السيارة الوشيك منها.

لغت ذراعيها حول بطنها،

أغمضت عينيها بكل قوتها،

واستعدت للنهاية.



٢

ولكنها عند اللحظة الأخيرة قبل الاصطدام شعرت بيد قوية تمسكها من الخلف وتشدها للوراء بسرعة..

وحين فتحت عينيها بعد لحظات وجدت نفسها مُحصنة بين ذراعيه - ذراعي هاشم - وقد استغرقت بعض الوقت لتصدق أنها ما زالت على قيد الحياة:

- أأنتِ بخير؟

- بخير ولكن بطني تؤلمني، وأشعر بأنني مُبللة من الأسفل.

ما أن قالت ذلك حتى سارع بالكشف عن ساقها، ثم مستعينًا بضوء عمود الإنارة رأى هاشم ما أخافه:

«لقد كانت ساقها مُبلّلة بالدماء»

كانت بلقيس في الشهر السادس من حملها .. ولكن يبدو أن الخوف الشديد الذي أصابها جراء اصطدامها الوشيك بالسيارة هو ما عجّل بموعد الولادة:

- أنتِ تنزفين، يجب أن يتم نقلك للمشفى بأقصى سرعة.

المستشفى

أدخلوها غرفة العمليات فورًا

وجاءت الطبيبة "حنان" بعد قليل تُعطيه هذه الأوراق:

هذه الأوراق يا سيد هاشم تخص إدارة المشفى وهي تفيد بأننا قد نلجأ للتخلص من الجنين إذا اضطررنا من أجل الحفاظ على سلامة الزوجة.

ما أن سمع ذلك الكلام حتى امتقع لون وجهه، وتكون بداخله رعب يشابه رعب قطيع من الأغنام سمعوا صباحًا وهم في المسلخ تكبيرات العيد.

- أجئتِ تطلبين الإذن للتخلص من طفلتي أيتها الطبيبة؟

- أتمنى ألَّا نضطر لذلك، ولكننا قد نلجأ لهذا الحل حتى لا نخسر الأم والطفلة معًا.

بعد رحيل والديه تولت أخته الكبرى "نرجس" تربيته، فأعطته كل ما تستطيع من عطف وحنان ورعاية .. ولكنها لم تستطع أن تملأ الفراغ الذي بداخله؛ فعاش حياته يشعر بأن هناك فراغًا هائلًا بقلبه لا يُمكن الشيء أن يملأه.

ولكن بلقيس استطاعت فعل ذلك - استطاعت أن تملأ الفراغ الذي خلّفه رحيل والديه ع عنه - ولهذا فإن خسارتها بالنسبة له تعني عودته لليتم مرة أخرى.

مدت الطبيبة له قلما، وقالت:

- أرجوك يا سيد هاشم؛ فالوقت يُداهمنا.

كانت لحظة صعبة - وكأن الحياة تسخر منه - فبعد ستة أشهر من عهود الأمان والحماية تلك التي كان يقطعها للجنين كل ليلة يجد نفسه الآن مجبرًا على منح المشفى الإذن بالتخلص منه.

**

- طفلتك بخير، ولكنها ستحتاج إلى البقاء في حضانة المشفى لبعض الوقت.

- ووالدتها - سأل بلهفة - كيف حال بلقيس؟!

- إنها بخير أيضًا

- أتقولين الحق أيتها الطبيبة، بالله عليكِ أتقولين الحق؟

- إنها في الغرفة (٤٥١) .. تستطيع أن تراها بنفسك لتتأكد راح يركض نحو غرفتها،

كان سعيدًا وعيناه مُمتلئتان بدموع الفرح، فبدا وهو يركض بين ممرات المشفى مثل جثة خرجت لتوها من ثلاجة الموتى بعد أن عادت إليها الروح مجددًا.

وجدها ممددة فوق السرير وقد كانت نائمة لفرط تعبها، دخل بهدوء كي لا يُزعجها، تقدم خطوتين في عُمق الغرفة وجلس على مقعد الجلد الأخضر المقابل لها يتأملها بشغف من يبصر لأول مرة.

**

بالنسبة للرجل: ليس كل امرأة يُمكن تعويضها.

فهناك امرأة قابلة للنسيان بسهولة .. وهناك امرأة لا تُنسى إلا بامرأة أخرى .. وهناك امرأة حين ترحل لا تترك مجالا للحياة بعدها: إنها تأخذ الروح، والقلب معها.

فتحت بلقيس عينيها بعد لحظات وكأنها أحست بوجوده، وكان أول ما سألته هو:

- كيف حال ابنتنا؟

- خائفة - أجاب - خائفة عليكِ جدًّا.

كيف عرفت أنها خائفة عليَّ؟

- تحدثتُ معها.



- هل تحدثت مع طفلة لم يبلغ عمرها يومًا واحدًا بعد؟

- أتعتقدين أنني مجنون؟

بصراحة، نعم.

الدراسات تقول ذلك

- تقول إنك مجنون ؟

- لا، بل تقول إن الأب يستطيع فهم همهمات طفلته، أتريدين أن تعرفي ماذا تقول ابنتنا عنكِ أيضًا؟

- ماذا تقول؟

- تقول إنكِ أفضل أم قد تحصل عليها أي ابنة في هذا العالم، تقول أيضًا إنكِ أكثر الأشياء حُبًّا إلى روحها وقلبها وإنكِ قدوتها المختارة وبطلتها الخارقة.

قالت وقد بدا وجهها مشرقًا:

- لو كنت أعرف أن خوفك عليّ سيجعلك بهذا اللطف، لكنت قد ألقيتُ بنفسي من سطح المنزل منذ مدة طويلة.

**

الحُزن هو محبرة الكاتب؛



إن الأحزان تعطي الإنسان قدرة مُذهلة للتعبير عما يدور بداخله، لذلك يلجأ الكتّاب أحياناً للبحث عن حُزن جديد كلما أرادوا الكتابة بطريقة أدق وأعمق تأثيرًا.

وقد كان اقترابه ذلك اليوم - اقتراب هاشم - من التجربة الوشيكة الخسارة زوجته وابنته هو ما هيّج الكلمات بداخله وجعله قادرًا على التعبير عما يخالج قلبه بالطريقة التالية:

- إن لعنة الإنسان تكمن في أنه لا يشعر بقيمة الأشياء حتى يفقدها، لقد شعرتُ اليوم بأنني فقدتك للأبد؛ وهذا الشعور هو ما جعلني أرى الحياة بدونك.

- وكيف كانت؟

مخيفة، كأنها يوم القيامة.



المستشفى
(اليوم التالي)
(الحادية عشرة ظهرًا)

جاءت الطبيبة باكرًا للقيام ببعض الفحوصات المهمة لبلقيس وحين انتهت من إجراء كل الفحوصات اللازمة أخبرتها أنها تستطيع المغادرة.

حملت بلقيس هاتفها وحقيبة فيها بعض الغيارات وذهبت إلى دورة المياه الداخلية للغرفة نزعت رداء المشفى الأزرق عنها وارتدت لباسها الخاص.

وحين عادت قالت تستأذن الطبيبة:

- هل نستطيع رؤية ابنتنا قبل أن نذهب؟ إنها في منطقة يحظر الدخول إليها لغير المصرح لهم بالدخول.

- أرجوكِ دكتورة حنان لا نريدها أن تعتقد أننا تَخلّينا عنها في مثل هذا الظرف الصعب.

صمتت الطبيبة لبعض الوقت وكأنها تشاور عقلها:



- حسنًا، سأرى ما أستطيع فعله.

قالت ذلك ثم غادرت.

**

الحادية عشرة
وثلاثون دقيقة، ظهرًا.

عادت الطبيبة لتخبرهما بما استطاعت أن تفعله لأجلهما:

- بالتنسيق مع بعض الزملاء في القسم استطعت أن أتدبر لكما مدة قصيرة لرؤية الابنة.

أردفت وهي توزع بصرها بين هاشم وبلقيس وتشير بأصابعها:

- خمس دقائق فقط، وهذا أكثر ما نستطيع فعله.

بلقيس وهي تكاد تقفز لفرط الفرح:

- اتفقنا، خمس دقائق لا أكثر

- حسنًا، تعالا معي.

أخذتهما لأحد الأقسام الخاصة:

«العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة»

**

ثم خلف الزجاج - زجاج غرفة الحضانة - وقف هاشم وإلى جواره بلقيس ينظران إلى ابنتهما الراقدة داخل اختراع حديث الصنع هو عبارة

عن: **أنبوب بلاستيكي مملوء بسائل ما**

قالت:

- ابنتكما ترقد الآن داخل أحد الأرحام الصناعية المصممة لمحاكاة الرحم الأصلي للأم.

وأردفت تشرح لهما حول ذلك الاختراع:

- لقد تم اختراع هذا الشيء في الأساس لإنقاذ الأطفال الذين يأتون إلى الحياة قبل موعد ولادتهم، وربما يتطور الموضوع في المستقبل القريب لتبدأ الأمهات شيئًا فشيئًا بوضع الأجنّة فيه؛ فيصبح الحمل الطبيعي داخل الرحم أمرًا كان من الماضي البعيد..

انتبهت الطبيبة بعد قليل إلى أن الزوجين لا يُلقيان بالًا لها مما جعل منظرها يبدو سخيفًا وهي تستعرض تلك المعلومات أمامهما؛ فقررت التوقف عن الشرح والانسحاب بينما واصل الأبوان تحديقهما نحو الطفلة بحب وصمت.

**

همست بلقيس له بعد لحظات:

- يُقال إن كل فتاة بأبيها مُعجبة، وكُل أب بابنته مُغرمٌ .. لقد باتت المنافسة قوية على قلبك يا هاشم .. وأصبح لي الآن خصم لا يُستهان بقوته.

- لا تقولي ذلك، أنتِ تعرفين ألا مجال للمنافسة بينكما

بثقة وهي تبتسم:

- أعلم أن قلبك لي وحدي.

- لم أقصد ذلك، كنت أقصد أن النتيجة محسومة لها منذ الآن.

لم تعجبها النكتة،

أسندت رأسها على ذراعه القوية وهمست:

- أسمعت من قبل قصة المرأة التي رأت زوجها في الجنة يا هاشم؟

- لا..

قالت تخبره بالقصة:



- يُحكى أن امرأة مات زوجها .. وبعد أيام رأت حُلمًا شاهدت فيه زوجها وهو في الجنة .. أحسّت المرأة بالرضا والسعادة لأجله ولكنها فجأة رأت الحور العين والجواري الحسان يجتمعن حوله .. أفاقت المرأة من حُلمها فَزِعة مرعوبة وبدأت تصلي وتدعو ربها

- بماذا دعت؟

- بأن يخرجه من الجنة ويدخله النار.

صمت هاشم متعجبًا مما سمع، بينما همست بلقيس قائلة وهي تواصل تحديقها نحو طفلتها:

- لا تتعجب، فهذا أقل ما تفعل المرأة حين تغار

**

ركز هاشم نظره في صورة بلقيس المنعكسة على زجاج غرفة الحضانة، وأطال النظر إليها:

لقد كانت جميلة حدَّ أن من يراها لأول مرة سيعتقد أنها مكثت ببطن والدتها مدة أطول تسعة أشهر؛ فحُسنها بحاجة لأكثر من المدة من الطبيعية ليُصاغ بهذه الطريقة المذهلة.

يعلم أنه ضايقها بمزاحه الأخير .. كانت علامات الحزن واضحة على عينيها الواسعتين وذلك الاحمرار الخفيف الذي كسا أرنبة أنفها؛ لذلك قال يجبر خاطرها:

- ستكبر هذه الابنة يومًا وتصبح زوجة رجل ما، وحينها ستهجر منزلنا لتنشغل بالاهتمام به وبمنزله وأبنائه .. بينما أنا سأشيخ ولن يبقى إلى جواري أحد غيرك .. ولن يهتم بي أحد غيرك .. ولن يحبني ويصبر على مزاجي السيئ ومرضي وثُقل دمي أحد غيرك، فكيف أحب أحدًا أكثر منك؟

سألت وكأنها قبلت عذره:

- وهل ستراني جميلة حين أصبح عجوزة؟

عاد لسخريته:

- لا عليك ببعض عمليات الشد والنفخ والشفط ستكونين مقبولة المظهر.

لم تنزعج بلقيس منه هذه المرة، واحتضنت ذراعه القوية:

- هذه أول مرة أكون فيها ممتنة لدمك الثقيل.

وأضافت مبررة:

- فهكذا أضمن ألا تتحملك امرأة غيري.

في تلك اللحظة قطعت عليهما الطبيبة الحديث بعودتها:

- لقد انتهت الدقائق الخمس

ثم رافقتهما إلى بوابة المشفى وأكدت لهما وهي تُلقي عليهما تحية الوداع أن الطاقم الطبي سوف يعتني بطفلتهما جيدًا.

**

الثانية عشرة ظهراً، ودقيقة.

بينما كان هاشم يهبط سلالم المشفى وإلى جواره بلقيس.

إذ فجأة يسمع صوت عيار طلقة نارية ذات صوت خطير، وقد خيل إليه

أنه استطاع الإحساس بها - بالطلقة النارية – وهي تمضي من جواره.

للحظة اعتقد أنه كان يتوهم ولكنه حين التفت نحو بلقيس وجدها وقد سقطت أرضًا، والدماء تنزف من جسدها بغزارة بعد أن اخترقتها تلك الرصاصة المجهولة.



. . .



بعد

مرور

تســـع

ســنـــــوات

من الحـــــادثـــــة

١

ليلًا،

السكون يُخيم على المدينة،

وثمّة هواء بارد وعليل يأتي قادمًا من الصحراء، يطوف البيوت والشوارع الناعسة محملا برائحة القمر والرمال وقصص عن الأجداد ستظل رياح نجد دائمًا ترويها.

في إحدى الفلل الواقعة شمالًا - وتحديدًا حي الياسمين - يتصاعد رنين الهاتف.

يستيقظ هاشم من نومه ليُجيب على الاتصال؛ فالرنين المتصاعد ذاك لم يكن صادرًا من هاتفه المحمول بل من الهاتف المخصص لعمله، ضغط زر الرد ووضع السماعة عند أذنه:

- ماذا هناك؟

- آسفة لإيقاظك بمثل هذا الوقت، ولكن يجب أن تأتي حالًا.

هو يدرك أن عمله لن يطلبه الساعة الثالثة فجرًا من يوم إجازته الأسبوعية - الجمعة - إلا إن كان هناك أمرٌ في غاية الخطورة، اعتدل في جلسته وقال:

- ماذا هناك يا راما؟!

- لا أستطيع إخبارك هنا؛ فالجو قد يكون ماطرًا يا سيدي.

كان ذلك الكود السري الذي قالته راما يعني أن المعلومات التي تملكها حساسة جدًّا بحيث لا تستطيع مشاركتها عبر الهاتف .. ردّ هاشم بالكود الذي يؤكد استعداده لتلبية النداء:

- سأجلب مظلتي وألتقي بكم في الحديقة بعد قليل.

٢

وقف هاشم تحت الدش سامحًا للماء الدافئ أن ينهال فوق جسده، ذلك الجسد الذي رغم اقترابه من الخمسين إلا أنه كان لا يزال يحافظ على رشاقة الشباب الأقل.

كان طويلًا كالنخيل، يملك شعرًا قصيرًا تتخلله الكثير من الخصل الرمادية التي يبدو أنه ورثها عن أحد والديه له وجه حاد التقاسيم مثل حافة مشرط وشارب ثقيل متصل بلحية مُهملة.

جفف جسده المبلل ثم ارتدى لباسًا ثقيلًا يقيه برد الشتاء، ولم ينسَ بالطبع أن يرتدي سترته الواقية ضد الرصاص وأن يصطحب معه مسدسه المزود بماسورة كاتمة للصوت.

وبالرغم من أن الحالة كانت تستدعي العجلة إلا أن هناك أمرًا كان عليه القيام به، ذلك الأمر الذي منذ قرابة - تسعة أعوام - وهو لا يغادر منزله قبل أن يفعله.



سحب مفكرة صغيرة صُنعت من جلد فاخر كان يحتفظ بما أسفل المرتبة - مرتبة السرير - ثم وعلى ضوء الأبجورة الخافت استلَّ قلمه وكتب هذه الرسالة:

عزيزتي بلقيس..

لقد هاتفني العمل قبل وقت قصير،

بدو أن هناك أمرًا طارئًا قد حدث، وبناء عليه طلبوا

حضوري إلى المقر .. سأغادر الآن ... ولن أنسى بالطبع

الاطمئنان على ابنتنا قبل أن أرحل

**

ما أن انتهى من الكتابة حتى وضع مفكرة الجلد فوق طاولة توجد بالقرب من النافذة، ترك المفكرة مفتوحة على الصفحة التي كتب عليها الرسالة وغادر.

**

ذهب لغرفة ابنته "**أمل**"

فتح باب غرفتها بهدوء كي يطمئن عليها قبل رحيله،



وجدها نائمة كما توقع وإلى جوارها - جوار رأسها تحديدًا - كان هناك كتاب ما.

كانت ابنته ذات الأعوام التسعة تملك عقل فتاة ناضجة؛

وربما يعود السبب في ذلك إلى تعلقها الشديد بالقراءة، وقد سألها ذات مرة عن سرّ حُبها للكتب فأجابته بكلام لم يستطع فهمه آنذاك؛ فالذين لا يقرؤون لا يستطيعون فهم العلاقة المقدسة التي تجمع القارئ بكتبه الورقية:

- لماذا أنت متعلقة بكتبك إلى هذا الحد يا أمل؟

- إنها العالم الآمن بالنسبة لي، إذا أضعتني يومًا ففتش عني داخل الكتاب الذي أحبه.

لقد فهم الجزء الأول من كلامها أما الجزء الثاني الذي قالت فيه:" إذا أضعتني يومًا ففتش عني داخل الكتاب الذي أحبه "**فسوف يفهمه بعد وقت طويل جدّاً**".

نهضت أمل من مكانها، وأحضرت كتابًا من رف مكتبتها، وقالت تشرح له شيئًا:

- هناك ذراعان لكل كتاب ... انظر .. صفحة عن اليمين وأخرى عن اليسار، أتعلم لماذا؟

- لا.



- ليحتضنك الكتاب أثناء القراءة.

كانت لديها - لدى أمل - عادة غريبة:

حيث إنها كانت تترك الرواية التي تحبها إلى جوار رأسها عندما تنام؛ معتقدة أن أبطال الرواية بتلك الطريقة يعكفون طوال الليل على حراستها.

كانت الرواية التي تجعلها دائمًا ملقاة إلى جوار رأسها هي رواية ذات غلاف أبيض ويظهر عليها - على الغلاف - صورة نصف وجه فتاة تشع عينها اليسرى باللون الأحمر الغاضب فتبدو كما لو أنها فعلا تقوم بحراستها أثناء النوم.

**

بعد أن اطمأن على ابنته أغلق باب الغرفة، ثم غادر إلى مقر عمله وهو لا يملك أدنى فكرة عن نوع المفاجأة التي: **كان القدر سوف يُرسله إليها.**

٣

كانت المنطقة حول المقر محفوفة بالسيارات السوداء مهيبة الشكل والتي كانت هيئتها لا تدع مجالًا للشك في أنها لم تكن إلا سيارات حكومية ذات خصوصية عالية.

**

وصل أخيرًا لمقر عمله «**الهيئة السعودية للفضاء**» وبالرغم من أن سيارته كانت تحمل تصريحًا خاصاً بالدخول، إلا أن سياج البوابة لم يُفتح له بشكل تلقائي كما جرت العادة؛ نظر إلى فريق الحراسة الخاص بالبوابة علّه يجد أحدًا من معارفه يساعده على الدخول

ولكنه شاهد وجوهًا جديدة كان يراها لأول مرة، وهذا ما أكَّد له أن الذي يحدث تلك الليلة ليس أمرًا عاديًّا.

تقدم الضابط المسؤول عن حراسة البوابة وطلب منه إبراز كلٍّ من هويته الوطنية وبطاقة عمله، سحب هاشم الوثائق المطلوبة من محفظته وقدمها إليه:

- تفضل

دقق ضابط الحراسة في الوثائق وما أن تأكد من سلامتها حتى أعادها إليه ثم أدى له تحية عسكرية متقنة وقال بصوت فيه الكثير من التقدير والاحترام:

- سعادة العقيد هاشم عبد العزيز، تفضل بالدخول يا سيدي.



٤

أوقف هاشم سيارته في المواقف المخصصة،

وما أن أطفأ محرك السيارة حتى شاهد فتاة ما تقترب منه، كانت الفتاة ترتدي السواد جينزًا وقميص ومعطفًا من الجلد وحذاء ذو كعب عالٍ؛ إنها مساعدته الخاصة العميلة راما.

وهي فتاة في منتصف الثلاثين من عمرها تملك شعراً قصيراً يُضفي عليها مزيدا من المهابة والأناقة وجسد مشدود صلب البنية بما يتناسب مع كونها امرأة.

**

قال وهو يترجل من سيارته:

- ما السر وراء كل هذا التأهب يا راما؟

- إنهم يرفضون الإدلاء بأي معلومة قبل وصولك.

قال وهو يسير نحو المقر:

- ما هو تقييمك الأولي لما يحدث؟!

- هناك حالة غير مسبوقة من التأهب لقد تم استبدال الحرس القديم إلى آخر جديد كليًّا، وقد نمى إلى علمي أن هناك بعض الطائرات الحربية قد تم وضعها في مرحلة الاستعداد لمغادرة قواعدها في أي لحظة يُطلب منها ذلك؛ أعتقد أننا بصدد مواجهة أمر يختلف عن كل ما واجهناه من قبل يا سيدي.

زاد هاشم من سرعة خطواته وكأنه لم يعد يطيق الصبر أكثر حتى يعرف الأمر.

قالت راما شيئًا أخيرا وهي تمشي إلى جواره:

- سوف يكون البروفيسور عادل في استقبالنا، وهو الذي سيُطلعك على الأمر بنفسه.

٥

عند بداية المدخل كان ينتظرهما شخص يرتدي معطفا أبيض.

إنه البروفيسور "عادل العادل" وهو أحد أهم أعضاء فريق البحث والتطوير في المركز - **مركز الأبحاث السري – التابع للهيئة السعودية للفضاء.**

كان البروفيسور عادل يُشبه إلى حد بعيد - شخصية المخترع غريب الأطوار "أغاسا" في مسلسل الإنمي الشهير كونان - إنه رجل سمين قصير القامة نصف أصلع ويعلق على وجهه نظارة طبية ذات إطار مربع.

مد هاشم يده مصافحا صديقه:

- حتى أنت أيقظوك من فراشك أيها العجوز؟

- أنا هنا منذ البارحة، وقد طلبت من راما الاتصال بك لأن المسألة تبدو خطيرة وجادة.

ثم أضاف وهو يمد له بعض الأوراق: خذ اقرأ. هاشم وهو يأخذ الأوراق منه:

- ما هذا؟

- تقرير أعددته خصيصًا لك؛ سوف تجد فيه بعض المعلومات الأولية للمسألة.

بدأ هاشم يقرأ

كانت المعلومات المذكورة في التقرير بسيطة ولا تقدم إجابات كافية وبالرغم من ذلك إلا أن تلك المعلومات البسيطة نجحت في إظهار مسحة من عدم الراحة على ملامح وجهه، قال متسائلًا:

- متى بدأت؟

- تم رصدها مساء البارحة على أجهزة الرادار.

- إنه أمر يدعو للقلق.

- لا - قال البروفيسور - لا داعي للقلق الآن؛ أنصحك أن توفره لما ستراه بعد قليل

ثم أضاف وهو يسير مبتعدًا:

- اتبعني هناك شيء مهم، يجب أن تراه بنفسك.

سار الثلاثة حتى نهاية الرواق حيث المصعد

كان مركز الأبحاث مكونا من ثلاثة طوابق إلى الأعلى؛

وبالتالي فإن المصعد يحتوي على ثلاثة أزرار يقود كل منها إلى طابق معيّن،

ولكن البروفيسور قام بضغط تلك الأزرار الثلاثة في الوقت ذاته وأطال الضغط عليها حتى تحرك بهم المصعد هابطًا إلى أحد الطوابق السرية التي قد شيدت أسفل الأرض.

**

سار الثلاثة في الممرات الواسعة للطابق السفلي تلك الممرات التي تعطي انطباعا لمن يسير فيها بأنه يسير في كواليس أحد أفلام الخيال العلمي..

أكملوا السير حتى وصلوا أخيرًا إلى باب حديدي ضخم، وإلى جواره يوجد جهاز لوحي صغير مثبت إلى الحائط .. وضع البروفيسور يده على قارئ الجهاز الضوئي، فنطق الجهاز بعد أن تعرف على هوية صاحب البصمة

«أهلا بك

في غرفة الرصد والتحكم الفضائي»

فُتح الباب..

ودخل البروفيسور عادل العادل يتبعه هاشم وراما اللذان ما أن دخلا حتى بدا عليهما الانبهار واضحًا مما شاهداه أمامهما..



٦

لقد شاهدا قاعة مهيبة تُشبه مسارح الأوبرا، تنتصب وسطها شاشة عملاقة تمتد من السقف إلى الأرضية،

ثم عن يمينها - يمين الشاشة - وشمالها تتوزع شاشات مربعة صغيرة الحجم..

كانت القاعة ضخمة وفيها العشرات من الموظفين - رجالًا ونساء - يعملون بصمت وانتظام شديد فيبدو المكان بأكمله كما لو أنه خلية نحل كبيرة.

وبالرغم من أن العقيد هاشم بدأ العمل في - مركز الأبحاث - منذ زمن إلا أنه لم يقم بزيارة تلك الغرفة من قبل، وهذا ما يفسر انبهاره من هيبة المكان.

ولكن انبهاره ذاك لم يدم طويلا حتى حلت مكانه دهشة أكبر وأشد وضوحًا؛ وذلك عندما شاهد الصورة التي تم عرضها على الشاشة العملاقة:

- يا إلهي، ما هذا الشيء الغريب يا عادل؟!

- إنه الشيء الذي أيقظناك من فراشك لأجله.

**

لم تكن الصورة واضحة بشكلها النهائي.

ومع هذا إلا أنها جعلت العقيد هاشم عبد العزيز يدرك أن المسألة تتجاوز صلاحيته في التعامل معها؛ لذلك فإنه قال دون أن يُزيح بصره عن الشاشة:

- راما

- أمرك سيدي.

- أيقظي الأولاد الكِبار، اطلبي منهم أن يأتوا إلى الحديقة فوراً.



٧

لم يستغرق الأمر كثيرا حتى جاء المسؤول

كان - المسؤول - رجلًا حكوميًّا رفيع المستوى يُرافقه ثلاثة من الضباط ذوي الرتب العالية، دخلوا قاعة الاجتماعات وجلسوا حول الطاولة. أطفئت أنوار القاعة

والتفت الجميع نحو الحائط ... حيث شاهدوا جسما غريبا أظهره لهم ضوء البروجكتر شديد السطوع، وقد كان ذلك الجسم الغريب عبارة عن:

«دائرة واسعة القُطر تحيط بما هالة شديدة التوهج»

قال البروفيسور:

- هذا الشيء الذي تشاهدونه أمامكم الآن أيها السادة هو عبارة عن ظاهرة كونية غريبة الشكل .. ظهرت فجأة في الفضاء الخارجي لكوكب الأرض.

رغم الظلام الجاثم على القاعة إلا أن البروفيسور عادل استطاع أن يستشعر السؤال الذي دار في الأذهان تلك اللحظة؛ فقال يؤكد لهم أنه يعرف ما يفكرون فيه:

- جميعنا يعرف اتفاقية - العام ١٩٦٧ - الشهيرة والتي تنص على أن الفضاء الخارجي ملك لجميع دول العالم .. وبناء على هذه الاتفاقية أعتقد أن الجميع يتساءل عن السبب الذي يدفعنا لأن نتحمل هذه المسألة وحدنا.

صمت قليلاً وأخذ ينظر فيمن حوله..

كانت الوجوه - وجوه الضباط الثلاثة والرجل المسؤول - مستترة خلف الظلام ولا يظهر منها إلا العيون التي تعكس بوضوح بريق ضوء البروجكتر

في تلك اللحظة اختفت الصورة من على الحائط وحلّت مكانها صورة ثانية...

.. صورة كانت بمثابة الإجابة والصدمة للجميع ..



٨

قال البروفيسور يشرح لهم الصورة:

- بناء على الدراسات التي أجراها فريق الرصد والقياسات لدينا، اتضح لنا أن الظاهرة الكونية هذه تقترب من سماء المملكة العربية السعودية؛ وهذا الأمر بالذات هو ما يدفعنا لتحمل المسؤولية وحدنا.

الرجل المسؤول:

- وما هو حجم الخطورة المتوقعة أيها البروفيسور؟!

قال وهو يدرك أن الإجابة لن ترضيهم:

- لا نعلم.

رد الرجل المسؤول بنبرة منفعلة:

- من يعلم إذًا؟ ... جدتي الميتة في قبرها؟!!

البروفيسور مبرّراً:

- لقد بحثنا في كل الظواهر الكونية السابقة التي تم رصدها منذ فجر التاريخ وحتى الآن ولكننا لم نجد شيئًا مثيلا؛ لذلك نحن لا نعلم حجم الخطر الذي يواجهنا، ربما يكون شديدا وربما لا يكون. كان التبرير مقبولاً ومقنعا للجميع،

ألقى الرجل المسؤول سؤالاً يحمل في طياته الكثير من التفاؤل:

- ولكنكم على الأقل تملكون خطة ما لدراسة الظاهرة ومعرفة مدى خطورتها، أليس كذلك؟

في الحقيقة لقد قام فريق البحث والتطوير قبل ساعات برفع طلب يتعلق بخصوص هذه المسألة، وقد حان الوقت ليقوم البروفيسور عادل بنقل الطلب لصاحب الشأن:

- إننا بحاجة لأن نرسل شخصاً للأعلى يا سيدي.



٩

لم يفهم الرجل المسؤول مغزى ذلك الطلب:

- للأعلى؟

- نعم، للفضاء من أجل التقاط الصور

- ألا تكفي الصورة التي تم عرضها علينا قبل قليل، أم أنكم تريدون أخذ صور تذكارية معها؟

- لم تستطع أقمارنا الصناعية أن تلتقط صورة واضحة للظاهرة الكونية يا سيدي، وما قمنا بعرضه للتو لم يكن إلا صورًا تقريبية تم رسمها بواسطة أجهزة الذكاء الصناعي

وأضاف البروفيسور مستطردًا:

- كما أننا أيضًا بحاجة لجلب بعض العينات لدراستها

قال الرجل المسؤول وقد اقتنع بالكلام:

- حسنًا، أعتقد أن "**ناسا**" سترحب بقبول هذه المهمة.

صمت البروفيسور وتبادل مع هاشم وراما نظرة ذات معنى؛ لقد كانت لديهم خطة أخرى ولكنهم غير متأكدين مما إذا كان الرجل المسؤول سيوافق عليها أم أنه سيرفضها.

قال هاشم:

- أنا من سيذهب للأعلى يا سيدي.

١٠

لقد كان قرارًا شجاعًا بلا شك ولكن لا أحد من الحاضرين توقع سماعه، تشاور الرجل المسؤول مع ضباطه الثلاثة حول الاقتراح المقدم من سعادة العقيد، واستمرت المشاورات لبعض الوقت حتى انتهت أخيرًا بهذا القرار..

الرجل المسؤول:

- جميعنا يُدرك حساسيتك تجاه الملف يا سعادة العقيد، ورغم ذلك يؤسفني أن أقول لك بأننا مضطرون للتخاطب مع وكالة الفضاء الدولية وإسناد المهمة لها.

رد العقيد هاشم محتجًّا:

- ولكننا بهذه الطريقة قد نقوم بتعريض **"الحصان"** للكشف.

كانت نيرة هاشم عالية وهذا ما دفع أحد الضباط الثلاثة لأن يطلب منه الهدوء، ولكنه لم يهدأ وحافظ على نظرته الثاقبة والأكثر حدة من نصل سكين.

قال الرجل المسؤول رفيع المستوى يوضح أسباب الرفض:

- كلنا نشعر بالمسؤولية تجاه الحفاظ على سرية الحصان ولكننا في وضع صعب؛ فماذا لو كانت تلك الظاهرة الكونية تُشكل خطرًا وجوديا على بلادنا وأفراد شعبنا؟! ماذا لو أننا كنا لا نملك الوقت الكافي لمغامرة خطيرة مثل هذه؟

**

بدا أن هاشم لم يقتنع وظلت عيناه تحافظان على شُعلة العناد، لم يكن الرجل المسؤول سيكترث للتوضيح أو التبرير لأحد ولكنه يحمل احتراما خاصًّا له:

- نعلم أنك أحد أكثر عملائنا قوة ومهارة .. وأنك مُقاتل شبح لا يعود من حروبه مهزومًا .. نعلم أن كل الأرقام والإحصائيات الواردة في ملفاتك الخاصة تقول بأنك لم تفشل في إتمام مهمة موكلة إليك ... ولكنك بالرغم من ذلك أيها العقيد لستَ مُهيّأً للصعود إلى الفضاء؛ ولأجل هذا نحن بحاجة لطلب المساعدة من ذوي الخبرة والاختصاص.

صمت العقيد هاشم لبعض الوقت ليس لأنه لم يكن يملك كلامًا يقوله بل ليرتب الكلام برأسه أولا فلا يبدو وهو يقوله وكأنه يعصي أوامر القيادة:

- الحصان سيكون نقلة اقتصادية وعسكرية هائلة لبلادنا، وهناك جهات خارجية كثيرة تطمح لسرقته؛ لذلك يجب أن نحافظ على مسافة آمنة نُبعد فيها الآخرين عنه.

كان الملف الذي يتحدثون عنه يُدعى - **حصان نجد** -

ويُصنف كأحد أسرار الأمن القومي للبلاد .. وهو ملف يتعلّق بشؤون الفضاء؛ ولكن لا أحد يعرف التفاصيل الدقيقة حوله إلا عددًا محدود من الأشخاص.

وكان هاشم عبد العزيز - ضابط وحدة المخابرات العلميّة - يُعد المسؤول الأول عن تأمين سريّة الملف؛ لذلك فإنه كان مستعدًّا للذهاب إلى الموت دون تردد قبل أن يسمح بتعريضه للكشف.

في الجهة المقابلة كان الرجل المسؤول قلقًا من ذلك العدو المجهول - الظاهرة الكونية - وكان يفكر بأمن الشعب دون النظر لأي اعتبارات أخرى:

- لا أستطيع المغامرة؛ سأرفع تقريرًا للجهات العليا أطلب منهم فيه السماح لنا بالتخاطب مع وكالة الفضاء الدولية، وهذا هو القرار الأخير.

بعد أن قال ذلك نهض من مكانه ونهض الضباط المرافقون معه واتجهوا نحو الباب للمغادرة، لكنهم قبل أن يصلوا إليه اعترض هاشم طريقهم.

تفاجأ الرجل المسؤول!!

ليس بسبب جرأة العقيد على اعتراض طريقه؛ بل بسبب السرعة والحفة اللتين تحرك بهما وسط الظلام، تلك الخفة والسرعة التي لا يتقنها سوى الخفافيش والأشباح الملعونة:



- يجب ألاَّ: نسمح لأحد أن يُقحم أنفه بهذا الشأن، لا أقول هذا لأجل الحفاظ على سرية الحصان فقط .. بل لأن هذا الشأن يخصنا نحن في المقام الأول يا سيدي ... وحين أقول نحن فأنا أقصد الشعب وهذا الشعب العظيم يستطيع وحده التعامل مع جميع المخاطر مهما كانت خطورتها؛ لذلك أرجو أن تمنحني الثقة.

كان الرجل المسؤول سيتجاهل ذلك الكلام ويصر على القرار الذي اتخذه لولا أن لمح بروق العزيمة والإصرار تقدح ثائرة في عيني هاشم كعاصفة من غضب ونار.

التفت المسؤول للوراء - نحو طاولة الاجتماعات - وسأل:

- كم نملك من الوقت أيها البروفيسور؟

- بناءاً على فريق الرصد والقياسات نملك سبعة وعشرين يومًا .

وبعدها ماذا سوف يحدث؟

- إذا رفع السعوديون رأسهم فإنه سيكون بمقدورهم رؤية الظاهرة الكونية وهي تطل عليهم من السماء .. وحينذاك الله وحده يعلم ما الذي سيحدث.

- وهل تظن أن العقيد يستطيع الصعود لإحضار الصور والعينات المطلوبة؟!

ألقى الرجل المسؤول ذلك السؤال ثم أردف قائلاً:



- أريدك أن تنسى أنكما صديقان، ولتكن إجابتك محايدة.

تمهل البروفيسور لبعض الوقت وأخذ يقلّب الأمر برأسه؛ هو يُدرك الدوافع النبيلة لصديقه هاشم، ولكنه يدرك أيضا أن الموقف الذي هم فيه لا يتيح فرصة للمجاملات أو الاعتبارات الأخرى لذلك عليه أن يكون صريحًا...

- أعتقد أن المهمة ليست بحاجة إلى رائد فضاء متخصص يا سيدي، وفي الجهة المقابلة أعتقد أيضًا أن الشخص الذي سيقوم بتنفيذها عليه أن يتحلى ببعض المهارات الخاصة.

- وهل تلك المهارات تتوفر في العقيد بظنّك؟!

- نعم؛ فالعقيد هاشم كما تعلم كان يعمل قائدًا للطائرات العسكرية والنفاثة قبل انضمامه للمخابرات - ثم أضاف مستطردًا وكأنه يضع كلامه القادم بين قوسين:

- أدرك تمامًا أن هذا ليس كافيًا، ولكنني أؤكد لك أننا نستطيع خلال ثلاثة أيام عمل أن تُعطيه كل المعارف الأولية التي سيحتاجها لإنجاز المهمة.

التفت الرجل المسؤول نحو هاشم وقال:

- ستخضع أولًا للفحوصات المطلوبة يا سعادة العقيد..

هزّ هاشم رأسه دلالة على الطاعة، أكمل الرجل المسؤول كلامه:



- وإذا جاءت نتائجك سليمة فأعدك أنني سأتحدث مع القيادة العُليا وأقنعهم بأنك لائق لأداء المهمة ولكن هناك شرط واحد.

- تحت أمرك يا سيدي

- الفشل ممنوع.

- أعدك ألَّا أخيّب ظنّك.

١١

في الساعات القادمة بدأ فريق البحث والتطوير بإخضاع العقيد هاشم السلسلة من الاختبارات البدنية والنفسية وإعطائه كل المعرفة اللازمة التي سوف تساعده على أداء المهمة.

استغرق العمل مدة ثلاثة أيام متواصلة انقسم خلالها الفريق إلى مجموعتين للتناوب - فريق يواصل العمل – بينما يأوي الفريق الآخر للراحة ..

وبين هذا وذاك ظل العقيد - طوال الأيام الثلاثة - مستيقظاً محافظاً على كامل يقظته وانتباهه؛ الأمر الذي جعل البروفيسور عادل يقول في نهاية الأمر مُبديًا إعجابه:

- لو لم أكن أعرفك منذ مدة طويلة، لقلت إنك مصاص دماء!

- أخبرني بالنتيجة إذًا، قبل أن أمتص دمك.

قال وهو يمد أوراق النتائج إليه:

- اقرأها بنفسك.



رغم أن هاشم كان قد تجاوز منتصف الأربعين - سبعة وأربعين عاماً على وجه الدقة - إلا أن النتائج أظهرت نجاحًا ساحقًا لا يتوفر حتى فيمن هم أصغر منه سناً.

لم تأتِ النتائج الإيجابية تلك عن طريق المصادفة، لقد كان يُخضع نفسه طوال الوقت لنظام صحي مستمر وتدريبات ذهنية وبدنية خاصة تجعله متأهبا دائمًا للعمليات الميدانية بالغة الحساسية والخطورة.

- والآن - قال هاشم - ما هي الخطوة القادمة؟

البروفيسور:

- سوف ننتظر حتى تصل برقية الرد.

في تلك اللحظة يطرق أحدهم الباب، ويدخل..

لقد كانت الضابطة راما تحمل بيدها ظرفًا مُغلقًا مصنوع من الجلد الفاخر وقد نُقش عليه عبارة باللون الأسود "**سري للغاية**" مدت الظرف نحوه وقالت:

- إنها البرقية.

كانت لحظة مهيبة وحاسمة،



فتح هاشم الظرف وقرأ ما جاء في البرقية، وحين انتهى طوى الورقة وأعاد وضعها في المغلف الخاص بها ثم نظر إلى العيون التي كانت تطالعه بفضول وقال يُعلن الخبر:

- لقد وافقوا.

**

مرّت لحظات قليلة قبل أن يستوعب الجميع الأمر، قالت راما أخيرًا كاسرة حالة الجمود:

- أنصحك بالذهاب لوداع عائلتك يا سيدي وأخذ قسط من الراحة قبل أن تأتيك إشارة التحرك.

سار هاشم نحو الباب مغادرًا، ولكن البروفيسور استوقفه:

- ليكن وداعك لهم أخيرًا، فلا أحد يعلم إن كنت ستعود من هذه المهمة أم أنك لن تعود أبدًا.

هاشم وهو يفتح مقبض الباب ويهمُّ بعبوره:

- أعلم هذا.



١٢

حين عاد إلى منزله وجدهما "أخته وابنته"

كانتا أمام التلفاز تشاهدان مقابلة حوارية لمؤلف ما ..

كان المؤلف يتحدث عن أحد أعماله الأدبية - قيامة سبأ - والتي تتمحور قصتها حول جارية تدعى البتراء، وحول الأحداث التي قامت بعد وفاة النبي سليمان وسقوط مملكته.

كانت أمل مندمجة مع اللقاء الذي يظهر فيه كاتبها المفضل على التلفاز، ورغم ذلك إلا أنها ما أن انتبهت فجيء والدها حتى تركت المشاهدة وراحت تركض نحوه.

قالت وهي تعانقه: لقد اشتقت إليك.

امتد العناق للحظات يسيرة قبل أن يبعدها والدها عنه ويطلب منها هذا الطلب:

- اذهبي إلى غرفتكِ.



قالت والحماس يشعُّ من عينيها:

- ليس قبل أن أخبرك بما حدث اليوم في المدرسة.

ثم أدخلت يدها في جيب البلوفر الواسع الذي كانت ترتديه، وأخرجت - ورقة حمراء - مطوية بعناية وتفوح منها رائحة عطرها المحبب يعبير الباودر

مدت إليه الورقة وهي تبتسم:

- اقرأها.

متجاهلًا طلبها أجاب:

- اذهبي إلى غرفتك؛ أريد الحديث مع عمتك على انفراد.

لقد كسر خاطرها بلا شك، وبالرغم من ذلك إلا أنّ يدها ظلّت ممدودة إليه:

- لن تستغرق قراءتها وقتًا

بصوت حازم قال: إلى غرفتك الآن.

بخطوات غاضبة سارت إلى غرفتها أغلقت الباب خلفها بقوة كتعبير عن احتجاجها، ثم أشعلت تلفاز الغرفة ورفعت صوت المقابلة الحوارية لمستوَى عالٍ.



قال هاشم: اخفضي الصوت.

لم تصغِ لأمره ورفعت صوت التلفاز لأقصى حد، فصاح عليها من غير أن يقطن إلى أنها بذلك التصرف لم تكن تعانده بل تطلب منه الاهتمام والرعاية.

قال بصوت أعلى:

- **اخفضيه وإلا حطمت رأسك أنتِ وهذا المؤلف**!!

خافت؛ فخفضت الصوت.

- إنه يوم ميلادها يا ،هاشم كانت تنتظر عودتك بفارغ الصبر كانت تتوقع منك هدية أو كلمة لطيفة بهذه المناسبة وإذ بك تقابلها بهذه القسوة.

التفت نحو الخلف حيث تجلس أخته،

لقد كان منفعلًا لكنه لم يستطع أمامها إلا أن يكظم غيظه، فنرجس ليست بالنسبة له أختًا كُبرى فقط، لقد اعتنت به حين كان صغيراً وأعطته كامل الاهتمام والرعاية حتى بات يراها مع الوقت بمثابة الأب والأم له:

- ربما ضغط العمل هو ما جعلني أفقد أعصابي.

قالت تحلل سلوكه الانفعالي مستعينة بخبرتها كطبيبة نفسية:



- إنك تملك صلابة نفسية قوية يا هاشم وتستطيع الحفاظ على ثباتك الانفعالي في أصعب المواقف وأخطرها، ولكنك تفقد قوتك تمامًا عندما تقف وجهًا لوجه أمام ابنتك.

كانت تعلم أن بداخله كلامًا مكبوتاً لا يود البوح به،

فالرجال بشكل عام يفضلون عدم البوح بأسرارهم لأحد؛ إنهم يخشون الظهور بمنظر الهزيمة أو الضعف إن هُم اعترفوا للآخرين بحقيقة مشاعرهم.

فقالت تحثه على الكلام:

محمد صلى الله عليه وسلم، وهو أعظم رجال الأمة وأكثرها شجاعة وقوة، لجأ يومًا إلى خديجة .. لجأ إليها وهو خائف ومرعوب .. تقول الآثار إن الرسول حين رأى جبريل أول مرة شعر بالفزع الشديد وركض إلى خديجة، قال لها - زملوني ، زملوني - لقد صارحها بشعوره الحقيقي دون أن ينقص ذلك منه شيئًا .. وأنت بالتالي لن تبدو ضعيفًا أو مهزوز إن شاركت مع الآخرين مشاعرك.

أصابت بكلامها ذاك عين الصواب، اعتدل هاشم في جلسته وقرر أن يعترف لها عن السر الذي يثقل كاهله ويُعذب روحه منذ سنين طويلة.

قال بصوت معتق بالندم:

- أنا السبب يا نرجس أنا الذي قتلتُ زوجتي بلقيس.



قبل تسع سنوات،
(الحادثة)

بينما كان هاشم يهبط سلالم المشفى وإلى جواره بلقيس.

إذ فجأة سمع عبار طلقة نارية ذات صوت خطير، وقد خيل إليه تلك اللحظة أنه استطاع الإحساس بها - بالطلقة النارية - وهي تمضي من جواره مباشرة.

للحظة اعتقد أنه كان يتوهم...

ولكنه حين التفت نحو زوجته وجدها سقطت أرضًا بعد أن أصابتها الرصاصة، كان الأمر مفاجئًا وصادمًا بالنسبة له ولكنه لم يقف مكتوف اليدين ولم يسمح للمفاجأة بأن تصرف انتباهه..

لقد عرف أن هناك قناصًا يقف خلف الرصاصة،

وكان عليه أن يتحرك بسرعة لينقذ الموقف: فقام أوّلًا بتأمين بلقيس وذلك غير سحبها إلى أقرب ساتر - حائط - يوفر لها الحماية من خطر الإصابة برصاصة ثانية...



عندما أصبح معها خلف الساتر نظر إلى جُرحها فوجده ينزف بغزارة، خلع قميصه وضغط به على الجرح ليُقلل من تدفق الدماء إلى الخارج..

سحب يدها ووضعها فوق القميص:

- اضغطي هنا بقوة.

لم يكن يعلم أسباب ذلك الهجوم المباغت أو الشخص الذي يقف خلفه، ولكنه يعلم شيئًا واحدًا فقط وهو أن عليه إنهاء هذا الوضع بسرعة قبل أن يقضي النزيف على زوجته

سحب مسدسه المثبت على حزامه - والذي كان يحمله دائمًا معه بطبيعة عمله - اختلس نظرة حذرة من عند حافة الحائط محاولًا تحديد مخبأ القناص

كانت هناك الكثير من الفنادق تنهض أمام المشفى، ومع ذلك استطاع أن يحدد هدفه بسرعة؛ وذلك عبر ضوء الشمس الذي انعكس عن طريق الخطأ من عدسة منظار بندقية القناص.

خرج هاشم من مكانه وأطلق ثلاث رصاصات متتالية نحو نافذة الطابق التاسع - والتي تبرز منها ماسورة البندقية - كانت المسافة بعيدة المدى على مسدس يدوي لذلك لم تصل الرصاصات الثلاث إلى هدفها...

ولكنها على الأقل جعلت القناص يرتبك ويقرر الانسحاب

**



راه هاشم - رأى القناص - وهو يلوذ بالفرار مستخدمًا سلالم الطوارئ الجانبية للفندق،

كان بوسعه الذهاب لملاحقته والقبض عليه ولكنه بدلًا عن ذلك اختار أن يحمل بلقيس إلى المشفى؛ فهو يُدرك أن الثواني في مثل تلك الحالات الحرجة قد تكون مفيدة لإنقاذ حياتها...

يعرّف علماء اللغة الفرق بين - الزمان والزمن - بالطريقة التالية:

الزمان هو الوقت الثابت الذي يمضي علينا جميعاً بالتساوي، مثل اليوم والشهر والسنة.

أما الزمن فهو مسألة شخصية:

إنه الإحساس - إحساسنا - الخاص بمرور الوقت.

وبناء على هذا التعريف نستطيع القول بأن هاشم مكث بغرفة الانتظار آنذاك مدة من الزمان تعادل ثلاث ساعات فقط، بينما أحس بما تمضي وكأنها عام كامل من العذاب.

أخيرًا جاءه الطبيب ينقل إليه هذا الخبر:

- البقاء لله، لقد فارقت زوجتك الحياة.

**



ذهب إلى حيث يرقد جُثمانها أزال عن وجهها الغطاء ونظر إلى الملامح التي بات يسكنها الموت؛ فأحس بشعور غريب وهو يراها تلك اللحظة: لقد شعر بوحدة عميقة

وكأنه استيقظ ليلا واكتشف أن البشر - كل البشر - غادروا الأرض وتركوه وحيداً.

انحنى إليها وعانقها بقوة مثل بخيل يعانق ماله

وضمها إليه - بقوة أكبر - وكأنه أراد أن يدفنها داخل جسده.

في اليوم الثالي ساعد في غسلها بالماء والسدر والكافور وضفر شعرها الطويل ثلاث قرون .. ثم لف حول جسدها الكفن وحملها مع الرجال إلى القبر وأنزلها بنفسه إلى مثواها الأخير وعندما حانت لحظة الوداع قال لها شيئًا خرج من أعمق نقطة في قلبه:

- أنت ميتة وأنا ،ميت الفرق الوحيد بيننا هو أنكِ أسفل الأرض وحدك بينما أنا وحيد فوق الأرض بينهم.

**

لاحقًا،

انهمك فريق البحث والتحري في التحقيق حول ملابسات القضية كانت الدلائل الأولية تُشير إلى أن هناك منظمة تقف خلف الحادثة؛ فالقناص لن يكون قادرًا على تنفيذ عملية الاغتيال الدقيقة تلك وحده.

وبعد أسابيع من البحث المتواصل عثر أفراد الفريق أخيرًا على خيط يقودهم إلى وكر القناص ولكنهم عند المداهمة وجدوه مقتولا برصاصة اخترقت قلبه ...

ومع موته - موت القناص - انقطع الأمل في العثور على الجهة التي دبرت الاغتيال، فتم تعليق القضية حتى إشعار آخر...

كانت أخته نرجس تعرف تلك الأحداث كلها، ولكنها تجهل شيئًا واحدًا:

- لماذا تعتقد أنك السبب وراء موتها؟

لأن من المؤكد أن الجهة التي دبرت عملية اغتيال بلقيس كانت بذلك تريد أن تنتقم مني.

على مر السنوات أحبط هاشم الكثير من العمليات المعادية، قبض على العديد من زعماء المنظمات والعملاء والجواسيس فكان من المنطقي أن يكون الدافع وراء عملية الاغتيال تلك هو الانتقام منه .. ولأجل هذا قامت الحكومة بتعيين فريق من الحرس الوقائي يعكف على حراسته وحراسة منزله وأفراد عائلته؛ لضمان عدم تكرار تلك الحادثة المؤسفة مرة أخرى.

قالت نرجس وقد أدركت لتوها السر وراء نفوره من ابنته:



- ابنتك تذكرك بحادثة الاغتيال .. تذكرك بفشلك في حماية والدتها وبأنك السبب في موتها؛ لذلك تنهار قوتك وتتلاشى حين تقف وجهًا لوجه أمامها.

هزّ رأسه بندم،

واستجمع قبضة يده وكأنه أراد أن يلطم بها نفسه، وعاد يُكرر:

- أنا السبب أنا الذي قتلتها يا نرجس.

نهضت نرجس من مكانها وجلست بالقرب منه حتى باتت تستطيع الإحساس بدقات قلبه المتسارعة كانت المناسبة تتطلب منها كلامًا يحفزه ويخفف عنه.

لكنها قالت شيئًا غير متوقع:

- لا بد أن بلقيس غير راضية عنك الآن.

- لماذا تقولين هذا؟

- ما حدث لم يكن ذنبك .. لقد كان ذنب ذلك القناص اللعين الذي ضغط الزناد وقتلها، ورغم هذا إلا أنك أسرفت في ظلم نفسك وتعذيبها .. لقد هجرت أصدقاءك وأهملت قلبك حتى انطفأ وجعلت بينك وبين الآخرين الكثير من الحواجز والمسافات حتى بات الوصول إليك مُرهقًا؛ فهجرك الناس ونسوك .. أتظن أنها سوف تكون راضية عنك وهي تراك بهذا الحال؟

ثم أردفت قائلة دون أن تعطيه مجالًا للرد:

- أعلم أنك تضع كل مجهودك في القيام بعملك أعلم أنك تشعر بهذه الطريقة أنك تساعد نفسك على النسيان والمضي قدما ولكنك مخطئ؛ فأنت لست آلة مسخرة للعمل - إنك خلقٌ من روح - و الروح بحاجة لرفقة الأرواح الأخرى

رغم السنوات التسع التي مضت إلا أنه كان ما يزال متعلقًا بها،

حتى أنه رفض تغيير المنزل أو الأثاث وأبقى كل شيء كما كان عليه

أثناء حياتها؛ كان يعتقد أن أي محاولة منه للنسيان سوف تُعد بمثابة الخيانة لها.

وكان يكتب لها رسالة كل يوم في مفكرة الجلد التي يُخبئها أسفل مرتبة السرير، علّها تقرأ ما يكتبه من السماء يوما .. وقد كتب لها ذات

مرة يقول:

بعد مرور الكثير من الأعوام يكتشف المرء أن
الوحدة التي كان يحارب لأجلها ليست في الحقيقة
إلا رمالًا متحركة تظل تسحبه للأسفل شيئًا فشيئًا



حتى تدفنه حيًّا.

وبالرغم من ذلك يا بلقيس إلا أننا نرفض التحرر من وحدتنا، ونظل نصفع الأيادي الممتدة إلينا لأجل البقاء مُعتكفين بين حيطان قبورنا.

علميني طريقة أشرح لهم فيها أنني ما عدت صالحًا لتبادل الأحاديث العابرة مع الآخرين، علميني طريقة أشرح لهم فيها أنني محطم، وأنني بحاجة للبقاء وحيدًا حتى أرمم حياتي البائسة وأن الشيء الوحيد الذي أحتاجه منهم فقط هو أن يحترموا قراري في البقاء وحيداً.

**

التفت إلى أخته وقال:

- الجميع يتحدثون عن النسيان وكأنه منتج يمكن شراؤه من أحد المتاجر، وكأننا نستطيع التجاوز ولكننا نختار البقاء عالقين في الماضي بمحض إرادتنا.

- لا أطلب منك نسيانها للأبد ولكنني أطلب منك التعايش مع الواقع ... لقد ماتت بلقيس ... ادعُ لها، تصدق عنها، اذكرها بالخير من وقت الآخر

.. أما عُزلتك ونفورك عن الحياة الاجتماعية فكل هذا لن يُعيدها للحياة مجددًا.

لم يشأ أن يخوض طويلًا في ذلك النقاش، نهض من مكانه وقال معلنًا انتهاء الحديث:

- هناك مهمة تخص العمل، وقد كُلفت بالقيام بتنفيذها.

لن تسأله عن المهمة؛ لأنها تُدرك الطبيعة الحساسة لعمله ولكنها قالت:

- حين تعود بالسلامة سنتحدث مرة أخرى في هذا الأمر..

أدار لها ظهره دون أن يقول شيئًا، وانسحب إلى غرفته.

**

كان جسده مُرهقًا بسبب انقطاعه عن الراحة في الأيام الماضية، تمدد فوق السرير ونام

مرت ساعة قبل أن يوقظه رنين هاتفه المخصص للعمل، ضغط زرَّ الرد ووضع السماعة عند أذنه جاء صوت مساعدته راما جادًّا وهي تقول:

- سعادة العقيد، لقد بدأ التحرك.



١٣

"وكان بينه وبين الأسود الفاتكة قرابة" هكذا كان

العقيد هاشم حينما يتعلق الأمر بتنفيذ مهمة ميدانية: **أنه يُلقي بنفسه للخطر دون مهابة كمن يتأهب لخوض مغامرة ممتعة..**

لكنه كان يحمل شعورًا مختلفًا تجاه هذه المهمة بالذات، شعور غامض وغريب يخبره بأن شيئًا خطيراً كان ينتظره وراءها: **ليس الموت هو ما كان يشعر به، بل شيء أشد وأخطر.**

وربما هذا الإحساس هو ما جعله يقرر أن يترك بعض الكلمات وراءه - إنها رسالة - قرر أن يكتبها لتكون أشبه بالوصية أو الاعتراف الأخير قبل مغادرته الأرض.

أزال مرتبة السرير وسحب مفكرة الجلد، فتحها على إحدى الصفحات وبدأ يكتب:

بعد موتك تكوّنت لديَّ فكرة خطيرة:
لقد فقدتُ ثقتي بالله.



وباتت هناك أسئلة تؤرقني:
لماذا الله يسمح بالشر؟ .. لقد كنتِ يا بلقيس
إنسانة صالحة .. فلماذا الله لم يتدخل ويوقف عملية
قتلك؟ .. لماذا سمح للشر بأن يُصيبك؟

أعلم أنها أسئلة إلحادية لا يجوز التفكير بها، وقد
حاولت مرات عديدة أن أطردها عني ولكنها لا تلبث
كثيرًا حتى تعاود الظهور في رأسي مجددًا كسربٍ من
الذُّباب الملعون.

أنت أول شخص أخبره بهذا الأمر؛
وقد أخبرتكِ به لأني أعلم أنكِ الوحيدة التي ستفهم
الظروف التي أوصلتني إلى هنا – إلى هذا الاعتقاد –
بينما الآخرون سيحكمون عليَّ بالكفر والزندقة.

فإذا نظرت يومًا من السماء نحو هذا المنزل . هذا المنزل
الذي احتوانا ذات يوم، وقرأتِ هذا
الاعتراف أريدكِ أن تستغفري لي الله
وأن تطلبي منه أن يُسكنني
إلى جواركِ.

حيث تكونين .. تكون جنتي،



إلى اللقاء.

**

حين انتهى من الكتابة حمل مفكرة الجلد إلى النافذة،

جعلها مفتوحة على الرسالة ثم غادر إلى الغرفة المجاورة ليطمئن على ابنته قبل الرحيل.

فتح الباب - باب غرفتها - بهدوء كي لا يُزعج منامها؟

ولكنه وجدها وقد كانت تجلس فوق السرير مسندة ظهرها إلى الحائط تحتضن الرواية ذات الغلاف الأبيض والتي يظهر على غلافها صورة نصف وجه الفتاة ذات العين المتوهجة باللون الأحمر

- لقد قسوتُ عليكِ اليوم يا أمل.

- أنا لستُ غاضبة

اقترب منها وجلس على حافة السرير:

لماذا لا تزالين مستيقظة إذًا؟ إنها تقترب من الرابعة فجرًا.

- خائفة.

- مِمّا؟

- سمعتك اليوم تقول لعمتي إنك ذاهب.

- إنها ليست المرة الأولى التي أذهب فيها للقيام بمهمة

- أعلم، ولكن أشعر بأنني لن أراك مجددًا، وهذا ما يُخيفني

- ألا يكفي أنني إذا مُت سوف تكونين فخورة بي؟

دفنت وجهها بين صفحات الرواية، وقالت بصوت واهن مثل شمعة تقاوم الانطفاء:

- لا أريد أن أكون فخورة بك، أريدك أن تكون معي.

كانت لتلك الكلمات كبير الأثر في نفسه .. مما جعله يلتزم الصمت ولا يعرف بماذا يُجيب رفعت أمل وجهها المدفون بين صفحات الرواية ونظرت إليه:

- ألا تستطيع الاعتذار عن هذه المهمة؟!

قال وهو يتجنب النظر إلى عينيها ذات الحُسن واللتين تذكرانه بعينيّ والدتها:

- لا أستطيع، لقد حُسم الأمر.

في تلك اللحظة رنّ هاتفه المخصص للعمل، ضغط زر الرد ووضع السماعة عند أذنه.

- لقد وصلت - قالت راما - وأنا في انتظارك يا سيدي.



كان من الصعب عليه أن يغادر وابنته على ذلك القدر من الخوف وعدم الاستقرار ولكنه لم يكن يملك حلًّا آخر:

- أنا قادم.

رافقته أمل إلى باب المنزل،

وعند العتبة أدخلت يدها في جيب البلوفر الواسع الذي كانت ترتديه قالت وهي تمد إليه الورقة الحمراء ذات رائحة عبير الباودر والتي رفض قراءتها في وقت سابق:

- اقرأها حين يكون لديك متّسع من الوقت.

وضع الورقة بجيب سترته: "سأفعل" قال ذلك ثم رحل ..

**

كانت تتمنى لو أنه عانقها قبل رحيله، لكانت ستعتبر عناقه ذاك بمثابة أجمل هدية تحصل عليها في عيد ميلادها، ولكن والدها لم يكن يكترث بتلك الأمور.

ركضت أمل إلى النافذة - النافذة المطلة على الشارع – كانت تريد أن تُشبع عينيها برؤيته حتى آخر قطرة شاهدته وهو يصعد إلى المقعد الخلفي للسيارة.



وقبل أن تتحرك السيارة التفت هاشم ونظر نحو نافذة المنزل وكأنه يعرف أن ابنته ستكون هناك .. لوح بيده مودعًا وهو يبتسم فأخرجت يدها من بين قضبان النافذة وردّت له التلويحة والابتسامة ثم انطلقت السيارة.

كان ذلك الوداع بالنسبة لأمل بمثابة هدية عيد ميلاد رائعة.



١٤

كان البروفيسور عادل العادل يغوص جالسا على مقعد الراكب الأمامي - بجوار الضابطة راما قائدة السيارة - وقد كان يغط في نوم عميق.

التفتت راما للخلف - حيث يجلس العقيد - وناولته ظرفًا بلاستيكيًا بحجم طول الإصبع:

- إنه البروتوكول كما تعلم يا سيدي.

داخل الظرف كانت تستقر حبة صغيرة بحجم حبة العدس، أكملت راما:

- لقد استهان بها البروفيسور قال إن رأسه ثقيل كما رأس البغل وإن ثلاث حبات لن تعطي تأثيرًا عليه .. لم تمض عليه خمس دقائق بعد تناولها حتى فقد وعيه كما ترى ... وأقسم أنه لولا هذا الشخير الذي صكّ أذنيّ به لظننت أنه قد فارق الحياة.

ابتسم هاشم، لم يتناول الحبة وأبقاها في يده، بينما انطلقت راما بالسيارة جنوبًا - جنوب الرياض - نحو مكان ما.

سألها بعد أن قطعوا قرابة نصف الطريق:



- كيف هو حال ابنكِ؟

- ما زالت تنتابه في بعض الأوقات حالات من الفزع الشديد والبكاء، لكن الطبيب المتابع لوضعه النفسي أكد أن ما يحدث هو نتيجة للصدمة التي مرّ بها.

- الوقت سيكون كفيلًا بمساعدته على اجتياز كل هذا.

نظرت راما إليه عبر المرآة المتدلية من سقف السيارة، وقالت تعبر له عن امتنانها الأبدي:

لقد كنت الوحيد الذي آمن بقضيتي وصدقها؛ لذلك لن أنسى معروفك أبدًا وسأظل أنا وابني مدينين لك طوال الحياة.

وصلت السيارة أخيرًا إلى المكان المقصود، وقد كان المكان عبارة عن منطقة مقطوعة بجنوب الرياض ليس بها إلا مستودع مهجور توجد فيه بعض معدات الحديد القديمة.

- هذا هو الموقع يا سيدي، سوف يأخذك فريق النقل من هنا.

حين وصلوا إلى ذلك المكان تناول هاشم الحبة التي بداخل الظرف البلاستيكي، سحب البروفيسور معه إلى الخارج وأجلسه أرضاً وقال يحادث راما الجالسة خلف مقود السيارة:

- لا أحب الخوض في الشؤون الخاصة لأحد، ولكنني أمنح نفسي هذا الحق بصفتي صديقا لك .. ما تزالين صغيرة يا راما على اعتزال الحياة؛

لذلك أريدك أن تمنحي نفسك فرصة أخرى؛ علك تجدين رجلا مناسبًا يُشاركك الطريق.

صمتت راما لبعض الوقت وكأن في فمها كلامًا - تود ولا تود - قوله، قالت أخيرًا وقد اتخذت قرارها:

- لم يعد ذلك ممكنًا؛ فالشخص الوحيد الذي كنت مستعدة لأمنحه ثقتي ذاهب الآن لمهمة خطيرة ولا أحد يدري إن كان سيعود منها أم أنه لن يعود أبدًا ك.

قالت ذلك ثم وضعت السيارة على وضع الانطلاق وابتعدت، بينما ظل هاشم يُشيّع السيارة المبتعدة بعينين مسكونتين بالذهول من ذلك الاعتراف غير المتوقع.

**

لم تمض دقائق يسيرة حتى بدأ يفقد إدراكه رويداً رويداً،

ولكنه قبل أن يسقط أرضًا إلى جوار صديقه البروفيسور استطاع أن يلمح طائرة الهليكوبتر في السماء مقتربة من موقعه فعرف أن فريق النقل قد وصل أخيرًا.

ولو أن حجاب الغيب كُشف عنه تلك اللحظة، لكان هاشم سوف يشاهد القدر بأجنحته اللا مرئية يُحلّق تماما فوق طائرة الهليكوبتر.

١٥

بعد زُهاء ساعتين ونصف من التحليق المتواصل، وفي منطقة محددة من الصحراء - صحراء الربع الخالي - هبطت أخيراً طائرة الهليكوبتر وأُطفئت محركاتها.

التفت الرجل الجالس بجوار كابتن الطائرة وهو - الرجل المسؤول الرفيع المستوى - التفت إلى الخلف حيث يجلس كلٌّ من البروفيسور والعقيد الذي بدأ يستعيد وعيه.

- هل نمت جيداً يا هاشم؟

فتح هاشم عينيه فباغته ضوء الشمس المنعكس من رمال الصحراء، قال وهو ينظر إلى الجبل هائل الضخامة والذي توقفت بجواره طائرة الهليكوبتر:

- لماذا توقفنا هنا؟

- لأننا وصلنا إلى المكان المنشود

نظر هاشم فيما حوله مفتشاً عن - ذلك المكان المنشود - ولكنه لم يجد حوله غير الصحراء تطالعه فقال يُبدي تعجبه:



- إنني لا أرى شيئًا.

الرجل المسؤول وهو يحرر نفسه من حزام أمان المقعد:

- سوف ترى كل شيء يا سعادة العقيد، ولكن بعد أن توقظ الدب من سباته.

التفت هاشم نحو البروفيسور وهزّه من كتفه:

- استيقظ يا عادل، لقد وصلنا...

لم يستيقظ البروفيسور، بينما علّق المسؤول لهاشم قائلاً:

- أعتقد أن بوسعك أخذه للفضاء والعودة به للأرض وهو لا يزال نائماً.

هزه هاشم بقوة أكبر وصفعه على وجهه عدة مرات حتى فتح عينيه، أخيراً وأخذ يتأمل المكان حوله باهتمام متزايد كمن يحاول معرفة المنطقة التي وجد نفسه فيها.

قطع هاشم تأملاته:

- أقترح عليك يا عادل أن تجعل فريق البحث والتطوير يفحصون صوت شخيرك، أعتقد أنه ظاهرة كونية تستحق الدراسة.

قال ينفي عن نفسه تهمة النوم:

- لم تغفُ عيني أبداً، رأسي ثقيل كرأس البغل لا يؤثر فيه شيء.

قال الرجل المسؤول ساخرًا وهو يقفز إلى خارج الكابينة:

- نعم صادق .. لم تغفُ عينك أبداً .. لقد كانت قبيلة الجن هي التي تشخر طوال الرحلة، وكان صوت شخيرها ذاك هو ما غطى على صوت محركات الطائرة وليس أنت.

همس هاشم للبروفيسور قائلاً:

- لا تكترث لكلامه أنا أصدقك يا عادل.

- بشأن أنني لم أنم أثناء الرحلة؟!

- لا، بل فيما يخص مسألة تشابهك مع البغال.

**

كانت الصحراء تخلو تماماً من أي أثر للعمران البشري، ومع ذلك قفز الاثنان إلى خارج الكابينة وجعلا يتبعان الرجل المسؤول المتجه نحو الجبل الضخم دون سؤال أو تعليق.. بينما عادت من خلفهم محركات الطائرة للعمل، وحلّق بها الكابتن مبتعداً

**

توقف الرجل المسؤول عند المقدمة - مقدمة الجبل - وهاشم وعادل يقفان وراءه، وضع يده على صخرة بارزة بعض الشيء بدت وكأنها تنتمي لأحد أجزاء الجبل..

ولكن الصخرة لم تكن كذلك...

فما هي إلا لحظات يسيرة حتى انبثق ليزر فسفوري اللون من ثقب متناهِ الصغر - غير مرئي - موجود أعلى الصخرة وقد سُلط على الرجل المسؤول لقراءة بصمة قزحية عينه.

تصاعد بعدها صوت هدير محدود تبعه بوابة تُفتح من مقدمة الجبل كاشفة الستار عن ممر معدني مُضاء بواسطة إضاءة زرقاء تقود إلى أعماق الجبل

حيث المكان المنشود: «**القاعدة السرية**»

عبر الرجل المسؤول البوابة يتبعه هاشم وخلفه البروفيسور، وما أن أتم الجميع دخولهم حتى تحركت البوابة عائدة إلى مكانها لتعود مُقدمة الجبل كما كانت قبل أن يصلوا إليها.

**

كان جوف القاعدة قد صُنع بالكامل من مادة الرصاص المكثفة؛ وذلك لجعل أمر اكتشافها على أقمار التجسس الصناعية مهمة مستحيلة.

واصل الثلاثة سيرهم في الممرات المعدنية حتى وصلوا إلى منطقة كان ينتظرهم فيها لفيف من العلماء المتوشحين بمعاطف المختبرات بيضاء اللون

قال الرجل المسؤول يُعطي الأمر:



- خذونا إلى غرفة التجهيز، فالوقت يُداهمنا..

**

تتواجد في منتصف الغرفة - غرفة التجهيز - طاولة مصنوعة من مادة الألمنيوم تعتليها بعض الأدوات المهمة: مثل اللباس الخاص الذي سوف يرتديه العقيد أسفل البدلة، والأنبوب الصغير المصنوع من التيتانيوم والذي سيقوم بحفظ وجمع العينات فيه. ومن ضمن الأدوات التي كانت تعتلي الطاولة كان هناك شيء غريب شغل بال العقيد ولم يفهم سبب وجوده فقال وهو يُمسكه:

- ما سبب وجود هذه الحفاضة هنا؟! ابتهجت أسارير البروفيسور فقد آنت لحظة الأخذ بالثأر، قال بطريقة رسمية:

- إنها لك يا سعادة العقيد، أليست قياسك؟!

- ليس هذا القصد ولكن ألا يوجد صندوق لقضاء الحاجة في المكوك أم أن التقارير التي أجراها فريق البحث أوضحت أنني أتبول لا إرادياً؟

- هناك صندوق لقضاء الحاجة في المكوك، لكنك ستخرج من المركبة لأخذ العينات، والفضاء لا يحوي دورات مياه عامة؛ لذلك ربما تضطر لاستعمالها

هزّ هاشم رأسه وقد بدا محرجاً،

أخرج البروفيسور عادل من جيبه علبة باودر وقال ساخرًا:

- لا تقلق يا سعادة العقيد، سنضع لك القليل من الباودر كي نحميك من التسلخات.

ألبسوه بنطالاً وقميصاً قطنياً لامتصاص العرق،

ثم وضعوا عليه جهازاً يحوي بعض أنابيب المياه - ولكنها ليست مياهاً للشرب - بل لتبريد الجسد.. وحين انتهوا من كل ذلك جلبوا له بدلة الفضاء..

قال الرجل المسؤول وهو يُقدمها إليه:

- هل حلمت يوماً أن ترتدي بدلة ثمنها ٤٠ مليون ريال؟

١٦

كانت البدلة التي أُعطيت له من نوع «SAs **1**«

وهي بدلة فضاء محليّة الصُّنع ذات تقنية متطورة، وقد زُودت بمحرك نفاث صغير يحمله الرائد كحقيبة ظهر يُساعده على التحرك خارج المركبة.

بعد أن انتهوا من تركيب البدلة عليه طلبوا منه السير بضع خطوات ليتحققوا من راحته أثناء الحركة.. سار هاشم بضع خطوات قبل أن يعطيهم رأيه:

- رغم وزنها الثقيل بعض الشيء، إلا أنني أستطيع التحرك بشكل مريـح.

البروفيسور معلقا:

- كنت متأكداً من أن الباودر سيعطي نتائج إيجابية.

كان وزن البدلة يقارب الـ ٥٠ كيلو غراماً؛ لذلك جلبوا له عربة ذات عجلات لتقوم بحمله ونقله إلى المحطة النهائية حيث:

منصة الإطلاق.

**

كانت منصة الإطلاق مغلقة بواسطة قبة كبيرة يُمكن فتحها وإغلاقها عند الحاجة، وكانت المنصة تستقر متوارية عن الأنظار في الجزء الخلفي من باحة الجبل..

**

في منتصف تلك الباحة كان بشكل رأسي ينتصب المكوك الكبير المزين بعلامة السيفين المتقاطعين والنخلة.. وقد ثُبت بواسطة برج ضخم صُنع من الفولاذ.

- ألن يرصد العالم تحركنا؟

- اطمئن يا سعادة العقيد - أجاب الرجل المسؤول - لقد قمنا بتزويد " شاهين ثمانية " بتقنية خاصة تجعل أجهزة التتبع حول العالم عن رصد تحركه.

في تلك اللحظة ينبثق صوت فتاة ما من المكبرات الموزعة على سقف المنصة:

- انتباه أيها السادة سنبدأ الإطلاق خلال ساعة واحدة من الآن.

آنت لحظة الوداع أخيراً.

رفع هاشم يده مُلقيًا على الفريق تحية الوداع، لم يكتفِ البروفيسور بذلك واقترب منه، عانقه وفي عينيه دموع بدت أنها تحمل حُبًّا صادقًا، وبالرغم من عاطفية الموقف وحساسيته إلا أنه لم يكن من الوارد على البروفيسور أن يفوّت تلك اللحظة دون مُزاح فقال:

- يبدو أنك بحاجة لغيار يا سعادة العقيد

هاشم مبتسمًا من وراء خوذة الرأس:

- كل ما أخشاه هو أن أفقد تعليقاتك السخيفة هذه للأبد.

- لو كنت أستطيع الصعود بدلاً عنك لما ترددت.

اختار هاشم أن يقطع تلك اللحظة الحزينة؛ كي يجعل الفراق أسهل عليهم جميعًا، فأجاب وهو يدير ظهره متجهاً نحو مصعد البرج:

- لن يسمحوا لك بذلك، فالبغال لا تصعد إلى الفضاء.

**

دخل هاشم إلى المصعد - مصعد البرج - الذي حمله إلى الطابق الأخير حيث الممر الذي يقود إلى قمرة قيادة المكوك، كان في انتظاره هناك فريق مُصغر يتبع للجهاز الفني للمهمة.

قال أحدهم:

- نحن هنا لنساعدك على دخول القُمرة والتحقق من كامل جاهزيتك.

أدخلوه قُمرة القيادة، أجلسوه على المقعد وربطوا حوله حزام الأمان ثم قاموا بتفعيل القيادة الآلية لشاهين ثمانية وحين انتهوا من كل ذلك تمنوا له التوفيق وغادروا..

ظل هاشم وحده وقد أزفت لحظة الانطلاق.



١٧

غرفة التحكم الأرضية:

جلست **المديرة** - مديرة مركز قيادة الإطلاق - خلف شاشة صغيرة يظهر فيها صورة المكوك.. قربت فمها من جهاز المايكروفون وتحدثت أولاً إلى هاشم الذي كان يُنصت إليها عبر جهاز المراسلة المدمج داخل خوذة رأسه:

- هل أنت مستعد يا سعادة العقيد؟

بدون تردد، أجاب هاشم:

- نعم، مستعد.

حين تأكدت مديرة مركز القيادة من استعداده توجهت بكلامها إلى الجهات الأخرى:

- إلى كل المسؤولين عن الرحلة، هل نحن جاهزون للصعود؟

وما أن وصلتها الردود بالتتابع تؤكد الاستعداد حتى قالت تُعطي شارة البدء:

- استعدوا إذاً.. ثلاث دقائق على الإطلاق

فُتحت القبة الكبيرة التي تحجب باحة المنصة بشكل آلي، وبات هاشم - بينما هو في قمرة المكوك - يستطيع أن يرى السماء الزرقاء مكشوفة أمامه.

وما هي إلا ثوانٍ يسيرة حتى بدأت المحركات تعمل شيئاً فشيئاً للوصول إلى طاقتها التشغيلية القصوى...

قالت المديرة:

- تسع ثوانٍ على الإطلاق.. سلسلة الإشعال تبدأ الآن

أحس العقيد هاشم بهزات مُتتالية أعقبها الصوت العالي لهدير المحركات، تبعه دخان كثيف اندفع من فتحات المكوك السُّفلية .. وحينذاك بدأت المديرة بالعد التنازلي:

ثلاثة

اثنان

واحد

انطلق

تعاظم الدخان حتى غطى باحة الجبل، ثم في مشهد عظيم رأى العلماء ألسنة اللهب الحمراء تندلع من فتحات المكوك دافعة إياه بكل قوة نحو الأعلى.

هتفت المديرة في تلك الأثناء:

- **المكوك شاهين ثمانية .. يغادر العُش.**

ظل فريق العلماء يراقبون بأعينهم عملية العروج في السماء حتى اختفى المكوك عن مجال رؤيتهم مخلفًا وراءه خيطاً عظيمًا من الدخان الكثيف، تمتم الرجل المسؤول رفيع المستوى قائلاً:

- ليحفظك الله يا هاشم.



. . .





١

٥ ساعات و ٣٣ دقيقة من الانطلاق بالسرعة القصوى هذا هو الوقت الذي استغرقه - **شاهين ثمانية** - لمغادرة الأرض وولوج عَتَمة الفضاء المهيبة.

أطلَّ هاشم برأسه من خلال نافذة القُمرة،

كان منظر الأرض مُذهلًا من هناك: لؤلؤة زرقاء جميلة ملقاة في جوف محيط أسود صامت مخيف يطوي بداخله الكثير من القصص والأسرار الخافية.

قام مركز القيادة بتوجيه - شاهين ثمانية - آليّاً نحو إحداثيات الظاهرة الكونية .. استجابت المركبة المعدنية للأمر وراحت تعوم مباشرة نحو هدفها.

عبر جهاز المراسلة المدمج في خوذة رأسه سمع هاشم صوتاً مازحًا يقول:

- ألوح لك بيدي، هل تراني من عندك يا هاشم؟؟

ندت عنه ابتسامة طفيفة ميّز صوت صديقه البروفيسور عادل،

قال مجيباً بصوت هادئ واثق:

يدك لا أراها، ولكني أستطيع بوضوح أن أرى أنفك الكبير من هنا.

سمع هاشم أصوات ضحكات فريق المركز، فأحس بمسحة من الاطمئنان تملأ قلبه.

ولكنها ليست إلا لحظات يسيرة حتى اختفى ذلك الشعور بالاطمئنان وحلّ مكانه إحساس بالرهبة والجزع وذلك عندما أصبحت الظاهرة الكونية تستوي أمام مجال رؤيته:

- يا إلهي - قال جزعاً - ما هذا الشيء المخيف ؟

٢

كانت الظاهرة الكونية عبارة عن:

دائرة واسعة القطر كأنها شمس تتوشح السواد، يُحيط بها هالة من الغبار الكوني شديد الكثافة.

**

بأمر من قيادة المركز توقف الطيار الآلي عن التقدم، خوفًا من أن تواصل المركبة تقدمها فتتأثر بمجال جاذبية الظاهرة الكونية .. كان العلماء يراقبون ذلك المنظر باهتمام شديد من خلال شاشة كبيرة أمامهم تعكس ما ترصده كاميرا مثبتة على مقدمة المكوك.

قالت المديرة تعطي تعليماتها:

- ابدأ الإجراء يا سعادة العقيد، وكن حذرًا.

اتجه العقيد هاشم نحو جزء في المكوك يُدعى غرفة معادلة الضغط وهو المكان الذي يستطيع رائد الفضاء من خلاله مغادرة المركبة والعودة إليها لاحقاً.

ربط هاشم نفسه بما يُسمى حبال السلامة حتى يضمن عدم انجرافه بعيداً في الفضاء عند حدوث ما هو غير متوقع، ثم فتح باب غرفة معادلة الضغط وقفز إلى الفراغ الأسود.

٣

اتخذ العقيد هاشم عبد العزيز لنفسه الزاوية المناسبة التي سوف تسمح لكاميرا - المجال الكهرومغناطيسي - المثبتة على خوذته بأن تلتقط الصور المطلوبة.

كانت هناك العديد من الأميال التي تفصله عن الظاهرة الكونية ورغم ذلك إلا أنه كان حذرًا في تحركاته لأنه يدرك أن الخطأ سوف يكلف كثيراً.

**

لماذا وهو في تلك الأثناء - بينما كان يلتقط الصور - راح عقله بشكل لا شعوري يفكر بابنته .. لقد كان قاسياً معها وهي لا تستحق منه تلك المعاملة أبداً.

وبينما طيف ابنته الجميلة يرفرف في سماء ذاكرته مثل راية تُداعبها نسمات الريح إذ ابتسم ثغره لا شعوريّاً؛ وذلك حين تذكر قصة حدثت بينه وبينها قبل عام:

حيث أُصيب هاشم آنذاك بفيروس مُعدٍ اضطر بسببه للبقاء معزولاً في الطابق العلوي لمنزله ..

كانت أخته نرجس حينها تضع له الطعام والشراب عند عتبة الباب وتأتي في اليوم التالي لتأخذ الأطباق الفارغة وتضع مكانها أطباقاً مملوءة بالطعام الجديد.

وبالرغم من جميع الاحتياطات التي فرضها هاشم لضمان عدم انتقال المرض لأحد أفراد عائلته، إلا أن ابنته لم تمكث طويلاً حتى أُصيبت بالمرض نفسه فعُزلت معه في الطابق العلوي.

كانت تلك هي الفترة الوحيدة التي تقرّب فيها من أمل وتعرف عليها أكثر .. وقد اكتشف في تلك الأثناء بُعداً آخر من شخصيتها لم يكن يعرفه من قبل: كانت ابنته تتمتع بخفة دم لطيفة مثل والدتها، وتملك ابتسامة مبهجة تدفع الناظر إليها مهما كان تعيسًا لأن يبتسم.

اكتشف لاحقاً - بعد شهور من تعافيهما - أن ابنته لم تُصب بذلك الفيروس مصادفة بل تعمّدت الإصابة به؛ فقد اعترفت له في لحظة مصارحة بأنها كانت تتعمد الأكل من أطباق الطعام نفسها التي كان يستخدمها أثناء مرضه واستمرت تفعل ذلك بمثابرة وإصرار حتى انتقلت إليها العدوى.

لم يفهم هاشم السبب في بداية الأمر؛ فسألها:

لماذا كنتِ تفعلين ذلك؟

قالت:



- حتى أعزل معك.

كانت تلك طريقتها الوحيدة للحصول على وقت كافٍ تقضيه مع والدها المنشغل دائماً عنها.

**

واصل هاشم التقاط المزيد من الصور، وعاهد نفسه أنه حين يعود للأرض سيجلب لابنته هدية عيد الميلاد التي أهمل إحضارها، وسيعمل جاهداً على ترميم علاقته بها ويمنحها الوقت والاهتمام والحب الذي حرمها منه طوال السنوات الماضية.

قطع صوت المديرة خط أفكاره:

- لقد أصبحت الصور في حوزتنا يا سعادة العقيد، وبدأ الفريق بمراجعتها.

- هل أبدأ بتنفيذ المرحلة الأخيرة؟!

صمتت المديرة قليلاً وكأنها تبحث عن الكلمات التي ستفتتح بها جملتها القادمة، قالت أخيراً بصوت متردد:

- نحن لا نملك الدراسات الكافية لتقدير الخطر يا سعادة العقيد، نخشى أن يكون مجال جاذبية الظاهرة الكونية أكثر قوة مما نعتقد فيسحبك إليها.

كان مجال الجاذبية ذاك الذي تحدثت عنه المديرة عبارة عن: **تيار من الغبار الكوني المستمر الذي ينجرف بسرعة متدفقاً إلى قلب الظاهرة الكونية.**

قالت المديرة تشرح له خطورة الأمر:

- إذا جرفك التيار فسوف تكون أمام أحد احتمالين، الأفضل هو أن يتمزق جسدك فورًا وتموت .. أما الأسوأ فهو أن تتيه في أبعاد الفضاء المجهولة وتموت ببطء مختنقاً بسبب نفاد خزان الأوكسجين .. وعندها سيبقى جسدك طافيًا للأبد.

لم يكن يهتم لمصيره، كان همه الوحيد في تلك اللحظة هو " ابنته " والحزن الشديد الذي سوف يسكن قلبها الصغير للأبد عندما تصلها الأخبار السيئة.

امتدت لحظات من الصمت المعبأة بالتوتر والقلق، قبل أن يقطعها هاشم قائلاً:

- أقدر لكم خوفكم .. ولكنني لم آتِ إلى هنا لأعود بالسلامة، كل ما يُهم هو أن أُنجز المهمة بنجاح حتى وإن كلف ذلك حياتي؛ تستطيعي إعطائي الأمر بالانتقال للمرحلة الأخيرة وأنتِ مطمئنة.



في غرفة التحكم الأرضية اطفأت المديرة جهاز المايكروفون والتفتت نحو الرجل المسؤول وكأنها بتلك النظرات تطلب منه المشورة في اتخاذ القرار السليم.

تكلم الرجل المسؤول قائلاً:

- يبدو أننا لا نملك حلّاً آخر، اعطهِ الأمر بالتقدم.

أعادت المديرة تفعيل جهاز المايكروفون الموصول بخوذة العقيد وقالت:

- ابدأ التنفيذ.

قال هاشم:

- هل أستطيع أن أطلب شيئاً أخيراً؟!

- نسمعك، وكل ما ستطلبه سوف يكون مجاباً ..

- أخبروا ابنتي أنني آسف على كل شيء .. اطلبوا منها أن تسامحني لأن الوقت لم يُسعفني لقراءة الورقة التي طلبت مني قراءتها .. كانت أمل هي الأمل الوحيد الذي يدفعني لمواصلة الحياة، وكنت أحبها أكثر من أي شيء آخر.

صمت قليلاً كما ليمنع رغبة شديدة في البكاء، ثم عاد يقول:

- لو عاد بي الوقت للوراء لكنت سوف أسعى جاهدًا لأن أكون أباً أفضل لها.

**

حين انتهى من كلماته تلك حرر بدلته من حبال السلامة المربوط فيها، ثم مستعينًا بجهاز الدفع النفاث الصغير الذي يحمله مثل حقيبة ظهر،

نفسه نحو الظاهرة الكونية...

تمتم الرجل المسؤول وهو يشاهده من خلال الكاميرا المثبتة على رأس المكوك:

- نستودعك الله يا هاشم.

٤

يحذر شديد وحرص بالغ،

استطاع هاشم بعد ساعتين من التقدم - السريـع تارة، والبطيء تارة أخرى - والمناورة والإلتفاف حول الأجسام المتطايرة أن يقترب كثيراً من الهالة الدخانية للظاهرة الكونية والتي سيجمع بعضًا منها في أنبوب التخزين.

وعندما لم يعد يتبقى على وصوله إلا الشيء القليل، باغته صوت المديرة عبر سماعة الخوذة:

- يجب أن تتراجع يا سعادة العقيد.

توقف هاشم مكانه:

- لماذا تطلبين مني التراجع؟!

- هناك نيزك كبير تحطم بالقرب من منطقتك، يجب أن تتراجع وتحتمي داخل شاهين ثمانية حتى تتفادى احتمالية اصطدامك ببقايا الحطام.

كان هاشم قد قطع مسافة طويلة حتى وصل إلى هذا القدر ولا مجال للتراجع الآن:

- لقد أوشك خزان وقود المحرك النفاث على الانتهاء .. ولو عدت لشاهين ثمانية الآن فإنني لن أستطيع العودة إلى مكاني هذا لاحقاً.

- ومع ذلك عُد للمركبة الآن، هذا أمر!

فكر هاشم فيما يجب عليه القيام به، وحين توصل للحل المناسب أخذ نفسًا عميقاً وقال:

- آسف، أنا مضطر لعصيان هذا الأمر.

كادت المديرة أن تقول شيئاً، ولكن هاشم أطفأ جهاز المراسلة، واختار التقدم نحو هدفه.



٥

استطاع هاشم أن يحصل بنجاح على العينة المطلوبة.

وحين انتهى من ذلك أحكم إغلاق أنبوب التخزين واستدار عائداً نحو شاهين ثمانية.

ولكنه ما كاد أن يجتاز نصف مسافة العودة حتى أطلقت بدلته إنذارًا تحذيرياً دق في السماعة المدمجة بخوذة رأسه ينبهه إلى اقتراب خطر وشيك الوقوع.

في هذه اللحظة أدرك أنه بصدد مواجهة حطام النيزك، مما جعله يُعيد فتح جهاز المراسلة المتصل بالقاعدة السرية ليتلقى التوجيهات، جاءه صوت المديرة غاضبا:

- سوف نتحاسب على عصيانك للأمر حين تعود، أما الآن فيجب أن تُنصت لما سوف يقوله لك البروفيسور عادل.

قال البروفيسور عادل بلهجة حازمة:

- اسمع يا هاشم .. إن سرعة الأجزاء المتطايرة لحطام النيزك تُشابه سرعة الرصاص؛ هذا يعني أن جزءًا بسيطاً منها لو اصطدم بك سوف يكون كفيلاً بإنهاء حياتك.

- هل لديك مخرج لهذه الورطة أم أنك فقط تعطيني تشويقة حماسية لطريقة موتي؟

- كل ما عليك فعله الآن هو الابتعاد عن مسار عبور موجة الحطام بأسرع ما يمكن؛ وذلك عن طريق استخدام الطاقة القصوى لجهاز الدفع النفاث..

كبس هاشم زرَّ الطاقة القصوى،

وما أن فعل ذلك حتى قذفه جهاز الدفع النفاث في اللحظة المناسبة بعيداً عن مسار حطام النيزك .. وهكذا استطاع النجاة من تلك الورطة لكنه - عن غير قصد - دخل بورطة أخرى؛ فبسبب تلك الدفعة المفاجئة والقوية أصبح هاشم يدور حول نفسه بسرعة جنونية ودون توقف.

صاح البروفيسور وهو يرى ذلك المنظر عبر الكاميرا المثبتة على مقدمة المكوك:

- يجب أن تسيطر على توازنك يا هاشم وإلا فسوف تستمر في الدوران حول نفسك حتى الموت!!

بذل هاشم جهدًا عالياً ليستعيد توازنه،



ولكنه لم يستطع فعل ذلك، وبدا أنه لن يستطيع التوازن أبداً.

**

في تلك اللحظة أخرج الرجل المسؤول هاتفه، كان هو الشخص الوحيد الذي يملك هاتفًا يعمل بالرغم من عدم وجود تغطية للشبكة، وقام بطلب رقم شخص ما.

فتح " الاسبيكر " وقرّب الهاتف من عند جهاز المايكروفون الموصول في خوذة رأس هاشم - كان ذلك هو الأمل الوحيد - استمر الاتصال لثوانٍ معدودة قبل أن يرد الطرف الآخر:

- ألو..

كان ذلك صوت - أمل - ابنة هاشم، قال الرجل المسؤول يحادثها:

أنا صديق والدك يا أمل وقد طلب مني الاتصال بك؛ يقول إنه مشتاق للحديث معك.

صمتت أمل ولم تنطق؛ كان من الصعب عليها أن تجاري في الحديث شخصا لا تعرفه...

أما الرجل المسؤول فقد كان يشاهد الحالة الخطيرة للعقيد هاشم عبر الشاشة ويُدرك أن حياته ربما تتوقف على هذا الاتصال؛ لذلك قال يحثها على الكلام

- تكلمي معه يا أمل، إنه يسمعك.

لم تكن واثقة، ولكنها لن تخسر شيئاً لو أنها حاولت:

- أبي، هل تسمعني؟

استطاع هاشم أن يُميز الصوت الحنون لابنته، كان صوتها يُشبه حبل النجاة الممدود لغريق يتهاوى إلى قاع البحر، واستطاع بسببه - بسبب صوتها - أن يشعر بالثبات رغم أنه كان ما يزال يدور في دوامة الموت.

كانت ستغلق الخط لأنها لم تتلقَّ ردًّا، لكن هُدهداً من قلبها أنبأها بأن والدها بحاجة إليها وأنه في تلك اللحظة كان يُصغي من أعماق قلبه لصوتها.

فقالت بصوت باكٍ:

- أبي .. أأنت بخير؟! .. تكلم أرجوك أنا خائفة.

كانت ابنته ملكة وكان هو كل جيشها؛ وما كان لملكة أن تقول بأنها خائفة دون أن ينتفض الجيش وتهتزَّ أركانه لأجلها .. استجمع العقيد هاشم آخر ما تبقى من طاقته واستطاع أن يوازن نفسه ويقول ليُطمئنها:

- لا تخافي، أنا بخير يا أمل.

- أين أنت ؟



التفت هاشم نحو الكوكب الأزرق المشع، كانت الزاوية التي يقف سعادة العقيد فيها في الفضاء تسمح له برؤية كامل حدود أرض المملكة العربية السعودية:

- لا يهم أين أنا، المهم هو أنني عائد إليكِ.

عند تلك اللحظة أغلق الرجل المسؤول المكالمة الهاتفية ثم صاح بصوت حماسي قائلاً:

- أحسنت أيها البطل !!

- لقد وعدتك ألا أخيب ظنّك يا سيدي.

بعدها سمع هاشم أصوات التصفيق وكلمات الثناء التي انهالت عليه من أفراد الفريق...

تدخلت مديرة منصة الإطلاق قائلة:

- لم أعد غاضبة منك، عُد لنا بالسلامة فقط.

ابتسم هاشم لسماعه ذلك وأمسك بمقبض تحكم آلة الدفع النفاثة ووجهها نحو شاهين ثمانية، ولكن كانت هناك مفاجأة لم يحسب أحد حساباً لها.

قالت المديرة وقد انتبهت للأمر:

- جهاز الرادار يُظهر لنا أنك تتراجع نحو الظاهرة الكونية.



- أحاول توجيه جهاز الدفع نحو شاهين ثمانية ولكن دون فائدة.

قال البروفيسور عادل وقد أدرك الحقيقة المفجعة:

- لقد تسبب دورانك السريع حول نفسك بدخولك مجال جاذبية الظاهرة الكونية، وإنها تشدك نحوها الآن !!

- ما العمل؟!

- ليس أمامك إلا أن تستخدم الطاقة القصوى الجهاز الدفع مجدداً، سيجعلك هذا الأمر تفقد توازنك مرة أخرى ولكنه على الأقل سيخرجك من مجال الجاذبية.

ضغط هاشم زرَّ الطاقة القصوى،

ولكن جهاز الدفع لم يستجب للأمر هذه المرة.

حاول عدة مرات دون فائدة وكان سيحاول أكثر .. ولكن البروفيسور قال موضحًا بعد أن أدرك السبب:

- أخشى أن طاقة جهاز الدفع لم تعد كافية لتنفيذ الأمر.

كان العقيد يتراجع بفعل جاذبية الظاهرة الكونية والعلماء يشاهدونه من خلال الكاميرا المثبتة على مقدمة المكوك دون أن يستطيع أحد منهم تقديم المساعدة.

**



كان هاشم أثناء انجرافه للوراء يفكر بابنته فقط، تُراها ستذكره طويلاً بعد أن يموت؟ تُراها ستروي لأولادها عنه حين تتزوج؟ تُراها ستُبقيه في قلبها حتى يومها الأخير؟ أم أنه سيسقط من ذاكرتها قبل ذلك الأوان بكثير.

قطع الرجل المسؤول خط أفكاره بصوت حزين:

- قل لا إله إلا الله محمد رسول الله ...

أغمض هاشم عينيه، احتضن ابنته في خياله واستسلم لتيار الجاذبية...

**

وظل التيار يشده ببطء إلى الخلف حتى أدخله قلب الظاهرة الكونية وأخفاه عن مجال الرؤية .. وبالرغم من ذلك إلا أن فريق المركز السري التابع للهيئة السعودية للفضاء استطاعوا سماع تمتمات العقيد الأخيرة وهو يقول هامساً بصوت خفيض:

- لا إله إلا الله محمد رسول الله

وكان هذا هو آخر ما سمعوه قبل أن ينقطع الاتصال بينهم وبينه.



مركز القاعدة
" غرفة التحكم الأرضية "

كان الواجب في تلك اللحظة أن تقوم مديرة المركز بإعلان فشل المهمة، وتعطي الأمر لشاهين ثمانية بالعودة إلى الأرض ولكنها اختارت أن تقول:

- سوف ننتظر لبعض الوقت.



. . .

١

فتح هاشم عينيه،

نظر فيما حوله بتعجب وعدم فهم..

إنها الصحراء مجدداً ولا شيء غير كُثبان الرمال تُطالعه...

استند على يديه ونهض بصعوبة، كانت المفاجأة هي أنه وجد نفسه يقف عند الجبل - الجبل الضخم الذي توجد بداخله القاعدة السرية - كان أول ما طرأ بباله هو أن يسأل نفسه:

" كيف وصلتُ إلى هنا؟! "

نزِع زجاج الخوذة ليحصل على قدر أكبر من الأوكسجين، إن آخر ما يذكره هو ابتلاع الظاهرة الكونية له، فما الذي أعاده إلى صحراء الربع الخالي مرة أخرى؟

لقد تذكر أمرًا ما: أنبوب التخزين !!

فتش عنه حوله فوجده مدفوناً أسفل التراب ولا يظهر منه إلا جزؤه العلوي، التقطه من الأرض ثم سار به نحو الجبل حيث القاعدة وكله

ثقة أن فريق العلماء بالداخل سوف يفسرون له ما حدث بعد أن يُعطيهم أنبوب العينة.

**

حين أصبح أمام الجبل وضع يده على الصخرة البارزة، وانتظر لبعض الوقت لكن البوابة لم تُفتح .. ضرب الجبل بيديه عدة مرات، وصرخ محاولاً إثارة انتباه أمن القاعدة ولكن دون فائدة أيضًا.

ولم يتوقف عن محاولاته تلك إلا حين جاءه صوت أنثوي من ورائه يقول:

- لا تُرهق نفسك؛ فليس ثمّة أحد بالداخل بعد.

التفت للخلف - حيث مصدر الصوت - وشاهد أمامه شيئاً غريباً:

- من أنتِ، ومن أي مكان جئتِ؟!!



٢

كانت فتاة فائقة الحُسن.

أكثر ما يُميزها هو حِدة ملامحها وشعرها الطويل البني الحلو كالعسل والذي يمتد إلى ما بعد نهاية أسفل ظهرها، لها عينان خضراوان بلون السبانخ ومُحددتان بكحل أسود ثقيل.

كان لباسها غريبًا: ترتدي أسمالًا من القفطان التي يعود عصرها إلى زمن التاريخ القديم .. وتضع على رأسها شالاً مزخرفاً بالألوان يفوح منه أريج الورد والزعفران.

- من أنتِ ومن أي مكان جئتِ؟!!

أجابت بلكنة عربية بالغة الفصاحة:

- اسمي حورائيل.

لم يسبق له أن سمع اسماً كهذا من قبل؛ وجاهد ليخفي عنها تعجبه ولكنها قالت وكأنها قرأت أفكاره:

- هذا لأنني لستُ من أحد أفراد جنسكم.

- شيطانة؟

تبدل وجهها كما لو أنها تلقت شتيمة، ولكنها سرعان ما عادت إلى هدوئها:

- معاذ الله أن أكون من العاصين.

وقالت تعرّف عن نفسها:

- **أنا واحدة من ساريات السماء الأولى.**

بدت عليه أمائر عدم الفهم، فقالت تشرح له معنى السارية:

- أنا خلقٌ من خلق الله الذي لا تعلمون عنه شيئاً، مُكلفة بتسيير أقدار السماء الأولى، وقد كُلفت بمنحك فرصة ثانية.

- فرصة ثانية؟

- نعم، لتصحيح قدرك.

لم يكن هاشم من أولئك الأشخاص الذين يؤمنون بالأمور الخارقة للطبيعة؛ لذلك لم يعطِ لكلامها اهتمامًا واعتقد أنها ربما تكون مصابة بمرض نفسي أو ما شابه.

وهذا ما دفعه لأن يقول:

- الحل الأفضل في مثل هذه الحالات هو الاتصال بالجهات المختصة.

فتح جيبًا خاصًا ببدلته كان فريق العلماء قد سمحوا له فيه بحمل بعض أغراضه الشخصية وأخرج هاتفه النقال .. ولكن المفاجأة كانت في أن الهاتف الذي أخرجه من جيبه لم يكن هاتفه الذي يذكر أنه كان بحوزته بل كان هاتفاً قديماً:

«إنه الهاتف القديم الذي كان يستخدمه

قبل تسع سنوات»

ظل يحدق إلى الهاتف بمزيج من الحيرة وعدم الفهم، قالت حورائيل تفسر له ما اختلط عليه:

- أنت في زمن آخر يختلف عن الزمن الذي جئت منه.

نظر إليها بدهشة، فأكملت تقول:

- كل ما حولك قد استحال إلى ما كان عليه قبل تسعة أعوام، باستثناء حافظة التخزين وهذا الرداء الذي تضعه على بدنك؛ فقد أبقيناهما معك ليكونا لك آية.

- آية على ماذا؟!!

لم تجبه حورائيل، وظلّت تحدق إليه بتحدٍ وغموض.

٣

كان مشوش الذهن بسبب الأحداث الغريبة التي مرّ بها في الساعات الماضية، وأخذ يراجعها بينه وبين نفسه:

لقد التقط مركز الأبحاث السري جسمًا غريباً ظهر فجأة خارج الغلاف الجوي لكوكب الأرض، وقد أشارت القياسات إلى أن ذلك الجسم بصدد الهبوط نحو المملكة.

صعد هاشم إلى الفضاء لالتقاط الصور وجلب العينات.

وبينما كان يؤدي مهمته إذ وقع له حادث جعله ينجرف إلى داخل تلك الظاهرة.

وهذا ما كان من المفترض أن يجعل مصيره محصوراً بين أحد أمرين:

«إما الموت، أو التيه في أبعاد الفضاء»

ولكن وجوده في الصحراء الآن وأمام هذه الفتاة الغريبة هو أمر غير قابل للتصديق بالنسبة إليه.

خلقت حورائيل بيدها دائرة مُضيئة في الهواء، ثم أشارت بإصبعها الطويل الرشيق إلى منتصفها قائلة:

- تعال انظر.

تردد هاشم قليلاً، لكن الفضول في نهاية المطاف دفعه لينفذ طلبها.

داخل الدائرة المضيئة كانت توجد مرآة صافية السطح، رأى هاشم فيها وجهه.

كان الغريب في الأمر هو أنه بدا في تلك المرآة أصغر سناً من عمره؛ حيث بدت بشرته أكثر نضارة واختفت خطوط التجاعيد الصغيرة التي حفرتها يد الزمان على زاوية عينيه وفمه.

قالت حورائيل بينما كان هاشم يتأمل نفسه:

- لقد عبرت الآرسس.

توقف هاشم عن التحديق بصورته المنعكسة على سطح المرآة، والتفت إليها:

- آرسس؟

- كلمة آرسس في ملكوتنا العلوي تعني بوابة الزمن.

وأضافت تشرح له:

- أنت الآن توجد على الأرض .. ولكنك في زمن أقدم من الزمن الذي

أتيت منه .. **تسع سنوات إلى الوراء** ... تماماً قبل مقتل زوجتك بقرابة يوم ونصف.

لم يقل شيئاً وظل يُنصت لحديثها الغريب.

أكملت حورائيل:

- لقد أهدرت أعوامًا طويلة من عمرك معتقداً أن القدر قد ظلمك حين سلب منك زوجتك في تلك الحادثة .. والآن أُتيحت لك الفرصة لتختار قدرك بنفسك يا ابن آدم.

لاحظ هاشم أن موضع السجود في جبينها قد توهَّج نورًا حين نطقت اسم "**آدم**"

أكملت حورائيل كلامها:

- أنت تعلم ما الذي سيحدث لزوجتك في الساعات القادمة، تعلم الموعد والمكان والطريقة وتستطيع أن تُنقذها من براثن الموت، ولكنني أنصحك ألا تحاول فلا أحد يستطيع أن يهزم القدر.

بالرغم من كل البراهين التي كان شاهدًا عليها: الهاتف القديم في جيب البدلة .. صورته وهو أصغر سنًا على المرآة .. النور الذي ومض في جبينها حين نطقت اسم آدم.

إلا أنه ما زال غير مقتنع بكلامها، قالت وكأنها قرأت ما كان يدور برأسه:

- سأدع الوقت يُبرهن لك صدق أو بُطلان ما جئت لك به.

كانت تتحدث بصوت واثق يشي بمدى يقينها بما تقول؛ الذي دفعه لأن يسأل:

- إذا افترضنا أن ما تقولينه حقيقة فهل هذا يعني أنه لا وجود لخطر من الظاهرة الكونية على بلادي؟

- الخطر ما زال قائماً... أرى خرابًا على وشك الوقوع، وأرواحاً كثيرة ستُزهق، ودمار سوف يجثم فوق سماء هذه المدينة .. وأنت الوحيد الذي تستطيع إيقاف هذا الأمر

- كيف؟

- **لا تعبث بالمصير**.

لم يفهم جوابها، فسأل: ماذا تقصدين؟

لم تجب على سؤاله وراحت تقترب منه، وبالرغم من أنها كانت تسير فوق كثبان الرمل الناعمة الحارقة إلا أن خطواتها كانت سلسة وكأنها تمشي على الهواء.

مدت حورائيل له شيئاً:

- أبقِ هذه معك.



وهو يأخذ الشيء من يدها:

- ما هذا ؟

- عندما يُطبق الخطر الشديد عليك، وتحيط بك أمواج العتمة المتلاطمة افتح هذه القلادة، سيخرج منها إليك نور أحمر يُنقذك.

جعل هاشم يتأمل القلادة التي بيده،

كانت عبارة عن سلسال الفضة ينتهي بصدفة معدنية محكمة الإغلاق، نظر نحو السارية ليسألها عن القلادة ولكنه لم يجدها .. حوله مفتشاً عنها ولكنها اختفت ولم تترك خلفها أثرًا غير صوت هامس كالسراب يقول:

- **تذكر كلامي جيداً، لا تعبث بالمصير.**



٤

تعد صحراء الربع الخالي واحدة من أكثر صحاري العالم قسوة ووحشية؛ حيث تبلغ حرارتها نهارًا قرابة الخمسين درجة مئوية وتنخفض ليلاً حتى تبلغ الصفر مئوية.

كما أنها شديدة الجفاف وذات رمال غير مستقرّة، مليئة بالحشرات السامة والحيوانات المفترسة القاتلة؛ وهذا ما يجعل نجاة التائه فيها تكاد تكون مستحيلة.

فكر هاشم أن ينزع بدلة الفضاء ليُصبح أكثر خفة أثناء الحركة، ولكنه سرعان ما تراجع عن تلك الفكرة؛ فهذه البدلة التي فوقه ستكون الدرع الوحيد لحماية جثمانه من وحوش الصحراء في حال أنه مات قبل أن يخرج منها.

**

مُستعيناً بالدلائل الطبيعية - الشمس والرياح ومراقبة حركة الظلال –

استطاع العقيد أن يُحدد اتجاه الشمال حيث تقع الرياض وسار نحوها

بعزيمة وقوة.

واستطاع لمدة أربع ساعات متواصلة أن يصمد أمام موجات الغبار العاتية وأن يواصل تقدمه رغم الجوع والعطش الشديد وحرارة الطقس العالية.

ولكنه لم يلبث طويلاً حتى بدأ يشعر بالدوار والإرهاق بسبب النقص الحاد للطاقة اللازمة لتشغيل وظائف جسده الحيوية؛ مما جعله أخيراً يسقط مكانه أرضاً.

**

وبعد مدة قصيرة:

بدأت الوساوس - وساوس ما قبل الموت - تراوده عن نفسه وجعلته يفكر بالكلام الذي قالته حورائيل: ماذا لو أنه عاد فعلاً تسع سنوات إلى الوراء كما قالت ؟ .. **هل هذا يعني أن بلقيس تنتظره في المنزل الآن** ؟ ... وأن الصحراء هي المسافة الوحيدة التي تفصله عن رؤيتها ؟

مدته تلك التساؤلات بطاقة احتياطية جعلته يتوكأ على يديه لينهض، ولكن موجة عاصفة من الرمال القوية هبّت عليه تلك اللحظة فأفشلت محاولته.

ظل جسده ممدداً بلا حراك لوقت طويل؛

مما أثار انتباه أحد أكثر الكواسر خطورة وفتكاً - النسر – الذي تُعد الأجساد الميتة في الصحراء واحدة من أهم الوجبات الأساسية في قائمة غذائه.

حوّل النسر اتجاهه في الهواء وهبط بالقرب من وجبته.

كان جسده - جسد هاشم - مُدرعًا ببدلة الفضاء إلا وجهه الذي كان قد جعله مكشوفاً.

اقترب منه النسر وهم بنقر لحم وجهه، ولكنه قبل أن يفعل ذلك كان هاشم قد أفاق من موته المزيف ثم انقض عليه - بمقدار أقل من الثانية - وأمسك به.

لقد تعلم تلك الحيلة في إحدى الدورات العسكرية الخاصة والتي يطلقون عليها اسم « الزلزال » حيث يتم فيها اختيار نخبة النخبة من عُملاء أمن الدولة لتلقينهم كل الطرق والأساليب التي تجعلهم يقاومون الموت لآخر لحظة.

لم يفطن النسر للفخ الذي وقع فيه؛

وذلك لأن هاشم كان أسرع في انتزاع روحه.

وبعد حصوله على الطاقة الكافية واصل هاشم سيره نحو الشمال حتى وصل أخيراً إلى طريق مُعبد بالإسفلت تقطعه بعض السيارات العابرة.

وبعد عدت محاولات توقفت له شاحنة قال لسائقها:

- سأعطيك الثمن الذي تطلبه إن أوصلتني معك.

وبالرغم من هيئة هاشم الغريبة وبدلته الملطخة بمزيج من دماء النسر وغبار الطريق إلا أن سائق الشاحنة العجوز قال له:

- اصعد.

وصف له هاشم الموقع - الحي والشارع ورقم المنزل - ثم أسند المقعد إلى الوراء، وخلد إلى النوم ليرتاح قليلاً من كل المصاعب التي مرّ بها خلاله الوقت الماضي.

**

بعد ساعة من حلول الليل وصلت الشاحنة إلى المنزل، توقفت مباشرة أمام الباب:

- استيقظ يا أخ، لقد وصلنا.

التقط هاشم خوذة الرأس من عند قدميه، قال وهو يهم بالترجل:

- كم تطلب ثمن إيصالك؟

- أريدك أن تخبرني عن حورائيل.

التفت إليه مذهولاً:

- من أين سمعت بهذا الاسم؟

- سمعتك تردده عدة مرات أثناء نومك، وأريد أن أعرف القصة.

- هذا ليس من شأنك!

- قبل صعودك معي قلت إنك ستعطيني الثمن الذي أطلبه إن أوصلتك لمنزلك.

- لماذا تريد أن تعرف ؟

- إنه الفضول - قال السائق وعاد يسأل: من حورائيل هذه؟!

- فتاة التقيتُ بها وسط الصحراء، قالت إنها واحدة من خلق الله الذي لا نعلم عنه شيئاً وقد جاءت مكلفة بمنحي فرصة ثانية.

أطرق سائق الشاحنة يفكر قليلاً في الكلام الذي سمعه قبل أن يقول متسائلاً:

- وماذا ستفعل ؟

- في ماذا ؟

- في الأمر الذي جاءتك هذه الفتاة لأجله.

- لا شيء، سأعتبر أن شيئاً لم يحدث.

- لماذا ؟



- لأنني لستُ من أولئك الذين يعتقدون بالخرافات.

- قد تكون كرامة وليست خرافة.

واستطرد العجوز يروي قصة حدثت في الزمن القديم:

- خرج أحد التجار الصالحين ذات مرة للسفر، وبينما كان يقطع المسافة فوق حصانه متجها نحو المدينة التي يقصدها إذ اعترضه لص ما وقطع طريقه.

كان اللص ضخم الجثة عريض المنكبين يبدو أكبر حجمًا من الحصان الذي يمتطيه، بينما - في الجهة المقابلة - كان التاجر هزيلاً وأعزل ومن المؤكد أنه لا يملك فرصة للمقاومة.

صاح اللص عليه:

- ضع ما معك فإنني قاتلك.

- ماذا تريد بدمي - قال التاجر - خذ المال وارحل.

- أما المال فهو لي، ودمك أُسقيه هذه الصحراء العطشى.

أدرك التاجر أنه لن يستطيع إقناع اللص بالعدول عن رأيه، فطلب شيئاً أخيراً:

- أما وقد حانت نهايتي، فدعني أصلّي لله قبل أن أموت.

كان اللص يدرك أن التاجر يريد كسب بعض الوقت فلربما يأتي من ينقذه؛ لذلك قال مستهزئاً:

صلّي كما تشاء، لن يُغيثك مني أحد.

ترجل التاجر من فوق حصانه.

اجتذب القربة التي كان يستخدمها للشرب أثناء السفر سكب لنفسه بعض الماء وجعل يتوضأ به حتى إذا انتهى كبّر لله وصلى .. كان التاجر يعلم أن السجود هو أكثر اللحظات التي يكون فيها العبد قريباً من ربه؛ لذلك عندما أدى سجدته الأخيرة دعا بهذه الكلمات التالية:

يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعالاً لما تريد،

أسألك بعزك الذي لا يُرام، وملكك الذي لا يُضام،

ونورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا

اللص،

يا مُغيث أغثني

يا مُغيث أغثني

يا مُغيث أغثني

عندما انتهى التاجر من دعائه ورفع رأسه من السجود شاهد فارساً قادماً من البعيد، يشق عباب الصحراء ممتطياً صهوة جواده .. انتبه اللص

لذلك الفارس القادم نحوه فحاول مقاومته ... ولكن الفارس أنشب رمحه في صدره فقتله مكانه.

تقدم الفارس نحو التاجر وساعده على النهوض، قال التاجر مذهولاً بعد أن نهض:

- من أنت بحق الله؟!

أجاب الفارس:

- أنا ملك من أهل السماء الرابعة .. وقد سمعنا في ملكوت السماء قعقعة وضجّة ... فسألت عن الأمر فقيل: دُعاء مكروب فطلبت من الله أن يولّيني إغاثتك فولّانيها ...

**

عندما انتهت القصة التفت سائق الشاحنة نحو هاشم وقال:

- ربما تكون الفتاة - حورائيل - مُحقة فيما جاءت لك به، ربما يكون ما حدث معك هو إحدى الكرامات التي خصّك الله بها.

- لماذا أنا ؟

- لا أعلم، ولكن سوف تكشف لك الأيام ما كنت تجهله.

وعند ذلك الحد انتهت المحادثة بينهما، ترجل هاشم من الشاحنة واتجه نحو منزله بخطوات مشوّشة، ثم التفت للخلف وتابع ببصره



ابتعاد الشاحنة حتى انعطفت عند نهاية الشارع واختفت عن مجال الرؤية..

**

في الوضع الاعتيادي لم يكن هاشم ليصدق كلام حورائيل، ولكن كلمات سائق الشاحنة العجوز عن الكرامات والقصة التي رواها قد أثرت بقناعته بعض الشيء، مما جعله يصل لهذا الاستنتاج:

« إذا افترضنا أن الزمن عاد بي إلى الوراء تسع سنوات،

فمن المفترض أن تكون بلقيس في انتظاري داخل المنزل الآن »

أدخل يده في جيب بدلته - الجيب المخصص لأغراضه الشخصية - وأخرج مفتاح المنزل.

**

حين أصبح داخل المنزل فتح فمه ليناديها ولكنه لم يستطع النطق باسمها كما لو أن الحروف الخمسة قد علقت في سقف حلقه مثل جمرة مشتعلة.

لقد قطع وحده الصحراء وواجه فيها احتمالية التيه أو الموت جوعاً، ورغم كل تلك المخاطر لم يشعر بالخوف نفسه الذي يشعر به الآن وهو بصدد التحقق من وجودها أو عدمه.

قال أخيراً:

- بلقيس؟!!

لم يأتِه ردها؛ فعاد يكرر: بلقيس، أأنت هنا ؟؟

وعندما لم يأته ردها للمرة الثانية ابتسم هازئاً، وقال يوبخ نفسه ويلومها:

- يا لي من أحمق، كيف أصدق هذه الخرافات ؟؟

كان في طريقه للصعود إلى الطابق الأعلى لتبديل ملابسه والذهاب لمركز الأبحاث السري حتى يلتقي بالعلماء فيجدوا له تفسيراً لكل الأشياء التي حدث معه.

ولكنه توقف مكانه تلك اللحظة؛ إذ إنه سمع رنين هاتفه يتصاعد أدخل يده في جيب البدلة وأخرج الهاتف .. وما أن رأى هوية المتصل حتى تسمرت أطرافه لفرط الذهول والدهشة وخفق قلبه بشدة وكأنه أراد أن يقفز من بين أضلاعه:

لقد كانت بلقيس المتصلة.



جاء صوتها عبر الهاتف حلوّاً، مفعماً بالنشاط والحب كما يتذكره قبل تسع سنوات:

- أهلاً بالحبيب، لقد اتصلتُ عليك لأقول أمرًا مهما.

لم يُجبها وظل مُحاطاً بهالة من الدهشة وعدم التصديق،

أكملت كلامها دون أن تنتظر منه ردّاً:

- أنا وابنتك اشتقنا إليك.

بدأت أنفاسه تضطرب وسرت في جسده رعدة باردة، لم تعد ركبتاه تطيقان حمله فسقط وسقطت دموعه معه، قالت بلقيس تُخمن سبب صمته:

- أعلم أنك لا تأخذ كلامي هذا على محمل الجد .. وتعتقد أنني مجنونة، ولكن الدراسات تقول ذلك .. تقول إن الأم تستطيع الإحساس بالجنين وهو ببطنها، أتريد أن تعرف ماذا تقول ابنتك أيضًا؟!

كانت الدهشة لا تزال تعقد لسانه، أما هي فكانت تظن أن سكوته ذاك يعود لإصغائه، ولم تكن تعرف الأسباب الحقيقية لصمته. أكملت:

- تقول إنك أفضل أب قد تحصل عليه أي ابنة في هذا العالم، وتقول أيضًا إنك أكثر الأشياء حُبًّا إلى روحها وقلبها وإنك قدوتها المختارة وبطلها الخارق.

هنا آمن هاشم أن كل ما قالته حورائيل كان حقيقيّاً:

« لقد عبر الآرسس وعاد تسع سنوات إلى الوراء »

**

كان بحاجة لأن يهدأ ويستوعب الأمر العظيم الذي وجد نفسه فيه حتى يعرف كيف يتصرف؛ لذلك - ومن أجل كسب بعض الوقت - فإنه قرر مجاراتها في الحديث فسألها سؤالاً كان يعرف إجابته مسبقاً:

- أين أنتِ، لقد عُدت للمنزل فلم أجدكِ.

- في الممشى.

- ماذا تفعلين هناك ؟

- أفعل مثلما يفعل الناس عادة في الممشى: أرقص.

ضحك هاشم من أعماق قلبه، لم تأتِ ضحكته هذه المرة كردة فعل على إجابتها، بل فرحًا بعودتها إليه.

- لماذا تضحك ؟



لن يخبرها بالحقيقة على الهاتف؛ فليس من الحكمة أن يقول لها الآن بأنها أغتيلت وأنه عاش بعدها سنين طويلة وقد عاد به الزمن إلى الوراء والتقاها مرة أخرى. سيخبرها بالأمر عندما يكون الوقت مناسباً، أما الآن فقال:

- تخيلتُ المنظر ؛ سيكون من المضحك رؤية فيل صغير يرقص في مكان عام.

- كفاك سخرية على بطني !!

- حاضر - قال برقة وصدق - أعدك ألا أسخر منكِ أبداً.

لم يكن يراها ولكنه أحس بها وهي تبتسم على الجانب الآخر من الخط، قالت بعد لحظات:

- أعلم أنك مستاء من ذهابي إلى الممشى وتريد مني أن أرتاح في المنزل ولكن الطبيبة نصحتني بممارسة المشي لآخر لحظة؛ قالت إن هذا الأمر من شأنه تسهيل عملية الولادة .. وهناك شيء آخر قالت إن من شأنه تسهيل الأمر أكثر.

قال يُجاريها في المحادثة:

- ما هو؟

- ألا يتنمر زوجك عليكِ .. وأن يسمعك كلاماً حلواً.

- متأكدة أن طبيبة النساء والولادة من قالت ذلك ؟

- نعم متأكدة هيا غازلني لو سمحت.

في تلك المحادثة أخبرها هاشم بأنها أجمل امرأة رأتها عينه، وأجمل امرأة يُمكن لعين أن تراها، قال لها إن الله خلقها مُطهرة من كل عيب وكأنها خُلقت كما تشاء.

لم تكن بلقيس تدرك سبب تلك العذوبة المفاجئة في حديثه، ولا نبرة الشوق المعتقة التي تسمعها في صوته ولكنها واصلت الاستماع لأحاديثه وكان يروق لها ذلك.

واستمر الحديث لوقت طويل قبل أن ينقطع الاتصال بينهما فجأة، عاد هاشم يطلب رقمها ولكن المجيب الآلي أخبره أن الهاتف مغلق، حاول الاتصال عدة مرات دون فائدة.

وعند هذه اللحظة استوعب هاشم وتذكر ما سيحدث لبلقيس بعد قليل: **حيث إنها ستقرر العودة للمنزل فتقطع الشارع العام ولن تنتبه على السيارة المسرعة مُطفأة الأنوار.**

تمتم قائلاً:

- يجب أن أذهب لإنقاذها قبل أن تصدمها تلك السيارة.

دخل غرفة للتخزين تتواجد بفناء الفيلا، نزع الغطاء عن تجويف أرضي يُفضي إلى سرداب خفي - كان هاشم قد أنشأه هناك سرّاً - ليخفي بجوفه بعض الأسلحة والوثائق عالية الحساسية.

نزع عن جسده بدلة الفضاء وخبأها في الأسفل - في السرداب - ووضع معها الأنبوب الذي يحوي دخان الظاهرة الكونية الذي حصل عليه في المهمة.

ثم انطلق يركض بكل سرعته نحو الممشى.

٦

قررت بلقيس - بعد نفاد بطاريتها - أن تعود للمنزل؛ حتى لا يقلق هاشم عليها ...

سارت نحو الشارع العام لتعبره، وقفت قليلاً فوق الرصيف، نظرت يميناً وشمالاً لتتأكد من خلو الشارع من السيارات ثم عبرت .. ولكنها - وهي تعبر - لم تنتبه للسيارة المطفأة الأنوار والمسرعة نحوها.

أرادت تفادي الاصطدام، ولكن الثقل الذي يُسببه لها الحمل واقتراب السيارة الوشيك منها جعل تفاديها للحادث أمرًا صعبًا، وضعت ذراعيها حول بطنها لحماية الجنين أغمضت عينيها بكل قوتها

... واستعدت للنهاية...

ولكنها في اللحظة الأخيرة شعرت بيد قوية - يد هاشم - تُمسكها من الخلف وتشدها للوراء بسرعة:

- أأنتِ بخير ؟

- ولكن بطني تؤلمني، وأشعر بأنني مُبللة من الأسفل.

ما كان هذه المرّة بحاجة لأن يرى ساقيها ليعرف أن مياه الرحم الممزوجة بقطرات الدم قد بدأت بالتسرب إلى الخارج داقة ناقوس الخطر، حملها بين ذراعيه وانطلق بها إلى المشفى..

**

جاءت الطبيبة إليه لتُعطيه الأوراق:

- هذه الأوراق يا سيد هاشم تخص إدارة المشفى وهي تفيد بأننا قد نلجأ للتخلص من الجنين إذا اضطررنا من أجل الحفاظ على سلامة الزوجة.

كانت الطبيبة تتوقع منه ردة فعل رافضة - كحال أغلبية الأزواج الذين يستلمون تلك الورقة - حيث يُمانعون في البداية ويرفضون التوقيع حتى تشرح لهم خطورة الوضع فيضطرون في الأخير للموافقة.

لم يناقشها في الأمر، أخذ منها القلم وترك إمضاءه في المكان المخصص.

حدقت فيه الطبيبة لبعض الوقت وكأنها متعجبة من ردة فعله الباردة غير المكترثة:

- ما بك تحدقين بي هكذا ؟

- ألست قلقا لما قد يحدث لزوجتك وما ببطنها؟!

- لا، لأنني أعلم ما سيحدث.

- ماذا تعني؟

- إذا استيقظت زوجتي من العملية، فأخبريها أنني ذاهب لأنقذها.

كان هذا هو آخر ما قاله هاشم قبل أن يستدير ويرحل...

ظلت الطبيبة تشيّع ببصرها ذلك الزوج الغامض الغريب الأطوار وهو يبتعد بخطوات متعجلة حتى انعطف عند نهاية الرواق واتجه لمغادرة المشفى.

استدارت الطبيبة وسارت نحو قسم الجراحة حيث يقوم لفيف من المساعدين بتجهيز وإعداد غرفة العمليات، كانت تسير وثمة سؤال واحد يخامر عقلها:

تُراه ماذا كان يعني حين قال: " أخبريها أني ذاهب لأنقذها "

صعد هاشم إلى سيارته ذات الدفع الرباعي، وضع ناقل الحركة على وضع الانطلاق ثم ضغط دواسة البنزين بقدمه لآخر حد، دارت الإطارات الأربعة في مكانها مُصدرة صوت زمجرة عالية قبل أن تندفع السيارة السوداء بكامل قوتها نحو الأمام.

**

لم يستغرق كثيراً من الوقت حتى وصل إلى وجهته، أوقف السيارة بعيداً

عن المكان المقصود ثم فتح صندوق البطلون وأخرج المسدس الممتلئ خزانه بالرصاص.

ترجل من سيارته، وسار بخطوات بطيئة نحو مكان ما...

كان عليه أثناء تحركه أن يستخدم مهارته الخاصة حتى لا يُثير انتباه الآخرين إليه، هذا إن كان يريد أن يُتم عملية - السطو - بنجاح.

٧

سيدة في نحو السادسة والعشرين من عمرها .. تقيم في عمارة سكنية ذات طوابق متعددة، شقتها صغيرة المساحة مكونة من غرفتين ومطبخ مفتوح على الصالة.

جلست السيدة فوق أحد مقاعد طاولة الطعام وحيدة، أمامها كيكة بنكهة الفانيلا مكتوب عليها " كل عام وأنت بخير " إنها الذكرى السنوية الخامسة لعيد ميلاد ابنها المفقود.

وبالرغم من اختفائه منذ شهور طويلة إلا أنها ظلّت تهتم بأدق تفاصيله وكأنه ما زال يعيش معها: فكانت ترتب غرفته كل يوم وتنفض الغبار عن ألعابه، وتغسل ملابسه وتكويها وتبتاع لأجله أصناف الحلوى التي كان يحب الحصول عليها.

وعندما تتراكم في غرفته الحلويات كانت تجمعها في كيس كبير وتفرقها على أطفال الحارة وتدعو الله سرًا أن يحفظ طفلها أين ما كان ويعيده إليها...

أغمضت عينيها وجعلت تستعيد في ذاكرتها ملامح وجه ابنها المضيء؛

كانت تفعل ذلك كلما اشتد عليها الحنين، إذ إنها لم تكن تملك لتسكين وجع قلبها غير ذلك السبيل.

**

وحين مرّ بعض الوقت وآنت اللحظة فتحت السيدة عينيها لتُشعل الشموع وتقطع جزئاً من الكيكة لها وجزئاً آخر لطيف ابنها المفقود، ولكنها حين فتحت عينيها رأت أمامها رجلًا غريباً يجلس مقابلاً لها على طاولة الطعام، ويُمسك بيده مسدساً يوجهه نحوها.

قالت بحلق جاف:

- من أنت وكيف دخلت دون أن أشعر بك؟!!

- اسمي هاشم وقد جئتُ من المستقبل .. وفي ذلك المستقبل كانت تجمعنا علاقة صداقة متينة .. ولأجل هذه الصداقة أحتاج إلى مساعدتك اليوم يا راما.



٨

ظلت راما تحدق بذعر في المسدس المصوب نحوها، قبل أن تقول بحذر:

- أبعد عني هذا الشيء اللعين.

- سأبعده ولكنك في المقابل سوف تلتزمين بالهدوء.

أومأت برأسها موافقة وهي تحدق في ملامحها التي كانت تراها لأول مرة.

ما أن أبعد هاشم المسدس عنها حتى صاحت بصوتها كله ولم تتوقف حتى عاد يوجه مسدسه نحوها:

- ألم تسمعي ما قلته؟! .. أم أنك تسمعين من مكان آخر؟!!

- يا لك من لص وقح قليل الأدب.

- أنا لستُ الصَّا، إنما جئت أطلب المساعدة.

- تقتحم بيتي ثم تهددني بالسلاح .. يا لها من طريقة مهذبة ومبتكرة لطلب المساعدة !!

كان يعلم أنه يمر بقصة صعبة التصديق؛ كل الذي يريده منها فقط هو أن تستمع إليه:

- أنا لا أستطيع أن أثق بأحد غيرك يا رام ..

قاطعته قبل أن يكمل كلامه:

- ولكنك لا تعرفني كيف تضع ثقتك في شخص لا تعرفه؟!

صاح عليها وهو يُلغي فاعليّة زرّ أمان المسدس في إشارة واضحة إلى استعداده للإطلاق:

- توقفي عن الثرثرة أيتها الحمقاء واستمعي لما سأقوله لك حتى النهاية، وبعدها سيكون لك كامل الحق في أن تقرري مساعدتي أو تأمريني بالمغادرة.

قالت وهي ترفع يديها في حالة استسلام: تت، تكلم

كاد أن يخبرها بقصته ولكن شيئاً ما حدث تلك اللحظة جعله يغلق فمه ويلتزم الصمت: لقد تعالت أصوات طرقات الباب - باب الشقة - فابتسمت راما إذ إنها عرفت أن صرختها وصلت للمكان الذي كانت تريد منها أن تصل إليه.

أمرها هاشم تحت تحديد تهديد السلاح بالصمت، بينما عاد الطرق يتكرر بقوة أكبر على الباب تلاه صوت يقول:

- أأنت بخير يا سيدة راما؟! .. أنا وزوجي وجيران العمارة سمعنا صرخة آتية من منزلك وأتينا للاطمئنان عليكِ.

بصوت هامس شامت قالت راما تخاطب هاشم:

- أنصحك بأن تصوب هذا المسدس نحو رأسك وتطلق النار؛ لأنني إن لم أُجب على الجيران في الدقائق القليلة القادمة فإنهم سيقومون بخلع الباب والدخول.

كان عليه أن يتصرف لينقذ الموقف:

- راما وليد الناسي هذا هو اسمك الثلاثي .. اختفى ابنك منذ أكثر من عامين .. حققت الشرطة في اختفائه طويلاً حتى اعتبروه ميتاً وأُغلقت القضية

أنصتت راما لكلامه دون أن تقاطعه، بينما استمر يقول:

- وكنتِ ستفقدين الأمل وتبدئين مرحلة النسيان إلا أن ابنك ظل يزورك في المنام كل ليلة، يخبرك أنه لا يزال حيًّا ويطلب منك البحث عنه؛ وهذا ما جعلك تلتحقين بقطاع الأمن سعيًا منك لامتلاك النفوذ والأدوات التي سوف تمكنك من العثور عليه لاحقاً.

- أنا لم أخبر أحدًا بهذا السر ...



- لأنك في هذه الحقبة الزمنية تعانين من فقدان الثقة، تعتقدين أن الجميع تآمروا في حادثة الاختفاء؛ تكرهين الحياة والناس ولم يعد لديك من تضعين ثقتك به.

كان يتحدث عنها بثقة وكأنه يعرفها منذ زمن طويل جدًّا، أكمل قائلاً:

- وما زاد الطين بلّة هو زوجك الذي رحل عنك بعد زواجه من امرأة أخرى .. لقد رحل عنكِ وأنتِ في مسيس الحاجة إليه مما جعلك تفكرين جادة بدهسة هو وزوجته أكثر من مرة لكن الأمل - أملك - في العثور على ابنك كان يجعلك في كل مرة تعدلين عن هذه الفكرة المجنونة.

- كيف تعرف كل هذه الأشياء؟!

- لأننا التقينا في المستقبل وكنتُ أنا الوحيد الذي وثقتِ به وأخبرته عن أسرارك، وكنتُ أنا الوحيد الذي آمن بقضيتك وسعى لأجل تحقيقها.

- من أنت بحق الله؟!

- أنا هو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يرد لكِ ابنك.

- كيف؟!

أجاب وهو يُشير بالمسدس نحو باب الشقة ويقول بلهجة المنتصر:

- سأخبركِ بعد أن تقومي بصرف الجيران الذين استدعاهم صوت صراخك.



**

استمرت أصوات الطرقات على باب الشقة دون فائدة؛ الأمر الذي حدا بأحد الرجال أن يقترح تحطيم الباب وإتاحة الفرصة للنساء بالدخول والاطمئنان على الجارة المسكينة.

وافق الأغلبية على ذلك المقترح ولكن - الجارة - راما فتحت الباب قبل أن يشرع الرجال بالتنفيذ، قالت وهي تغتصب ابتسامة زائفة:

- لا داعي للقلق، أنا بخير.

كادت الحيلة أن تنطلي عليهم لولا إحدى النساء التي لم تعجبها تلك الإجابة:

- ولكنكِ لن تصرخي دون سبب.

أخذ جميع الجيران المحتشدين أمام الشقة يتفرسون في وجه راما، ينتظرون الرد، كان عليها أن تخترع تبريراً يُشبع فضولهم حتى تُنهي المسألة فقالت:

- كنت أحتفل بعيد ميلاد ابني كما أفعل كل عام .. أغمضت عيني وسرحت بخيالي أتذكره، وحين فتحت عيني رأيت ما أثار في قلبي الرعب..

قالت إحدى الجارات وهي تدق صدرها بيدها:

- لطفك يا الله ماذا رأيتِ؟



- الصراصير كبير - كانت تقصد هاشم وترفع صوتها قصدًا حتى يسمعها:

- صرصور كبير وحقير وتافه، وهذا ما جعلني أصرخ.

لاحظت راما أمائر القرف والذعر على وجوه الجارات، بينما ابتسم أحد الرجال وقال:

- تحظى الصراصير في هذا الزمن بهيبة عظيمة في نفوس السيدات، يفتقدها الكثير من الرجال.

وقال رجل آخر رافعًا يديه: - **اللهم ارزقنا هيبة الصراصير يا الله.**

أمَّن بقية الرجال على دعائه "**آمييين**" وهم يضحكون ثم انصرفوا من هناك.

عادت راما إليه فوجدته وقد أخرج من أحد جوارير المطبخ طاحونة يدوية، وضع بداخلها بعض حبات من القهوة السوداء وأخذ يطحنها ويقول:

- شتيمتك مقبولة أيتها الصديقة من المستقبل.

جلست فوق كرسي طاولة الطعام وقالت توضح له:

- لم تكن شتيمة، سأدعسك بقدمي كما يُدعس الصرصور إن اكتشفت أنك كاذب.



لم يكترث لكلامها وقام بتسخين بعض المياه ثم سحب جاروزًا أخرج منه فلتر القهوة الورقي ووعاء التقطير .. انتبهت راما إلى ملاحظة دقيقة: كان ذلك الرجل يتحرك في مطبخها وهو يعرف أماكن الأشياء جيداً كما لو أنه قد زار مطبخها قبل هذه المرة.

سكب لها بعضاً من القهوة في الكوب، وقدمه لها:

- صنعتها لك ثقيلة مع إضافة القليل من العسل كما تحبينها أن تكون.

ثم جلس مقابلاً لها واضعًا الكوب خاصته والمسدس فوق طاولة الطعام، قالت راما:

- كيف ستعيد ابني؟

- بعد أن تساعديني في وقف جريمة فظيعة ستحدث غدا.

- جريمة؟!

- جريمة قتل ستحدث ظهر الغد، عند الساعة الثانية عشر ظهراً.

- لماذا لا تطلب المساعدة من الشرطة إذا كان الأمر كذلك؟!

- لأن الوقت يحاصرني والشرطة لن تصدق قصتي.

- ما هي قصتك ؟

أخذ رشفة من القهوة، ثم بدأ يخبرها..

**

بعد أن انتهى من سرد القصة امتدت بينهما لحظات من الصمت، أدرك فيها هاشم أنها لم تصدقه:

- أعرف أنك لم تصدقي ما قلته لك، ولكن..

قاطعته:

- أنت لا تفهم معنى أن يزورك ابنك كل ليلة في المنام باكياً يتوسلك البحث عنه، أنت لا تفهم الجحيم الذي يسكنني منذ اللحظة التي أدركت فيها أنني فقدت أعزّ وأثمن ما أملك؛ لهذا إن قلت بأنك دخلت بوابة الزمن فسأصدقك، إن قلت بأنك قابلت ملاكاً أو شيطاناً أو كائناً فضائياً يُدعى حورائيل فسأصدقك .. إن قلت بأنني كنت صديقتك وذراعك الأيمن في وحدة المخابرات فسأصدقك .. سأصدقك يا هاشم وكأنك نبي جاء بالمعجزات لقرية فآمنت بكل ما يقوله .. بشرط أن تقطع لي وعدًا بأن تعيد ابني.

- أعدك بذلك.

- أخبرني إذاً عن نوع المساعدة التي تحتاجها.

أبرز لها صورة في ألبوم هاتفه تُظهر فتاة عظيمة الجمال تشبه مجسماً منحوتاً لأحد آلهة الحضارة اليونانية القديمة، لها بشرة بيضاء وشعر

طويل أسود، وتملك نظرة عميقة في عينيها الواسعتين وابتسامة مُعدية تدفع الناظر إليها لأن يبتسم رغماً عنه.

- من هذه ؟

- زوجتي.

- ماذا بشأنها ؟

- هناك قناص سيقتلها غدًا، وأريدكِ أن تتعاوني معي لمنعه من فعل ذلك.

حدقت النظر إليه لبعض الوقت، كان هناك أمر قد أثار حيرة راما وتعجبها؛ مما جعلها تلقي عليه هذا السؤال:

- أنت على حد قولك تعرف كل الأشياء التي سوف تحدث غدًا، تعلم توقيتها وكيفية وقوعها .. فلماذا تغامر .. لماذا لا تتفادى الحادثة بأكملها ؟

- لأنني أريد إزاحة الخطر بالكامل وليس تأجيله ليوم آخر .

- لم أفهم.

قال يشرح لها:

- هناك جهة تقف وراء العملية، وإذا فشلت محاولتهم يوم الغد فإنهم بالتأكيد سيعاودون الكرة مرة أخرى؛ لأجل ذلك أريد أن ألقي القبض على



القناص .. فهو سيكون بمثابة الخيط الذي سيقودني للجهة التي تقف وراء الاغتيال.

- فهمت، هل لديك خطة ؟

- نعم، وأريدك أن تُصغي إليها جيداً.

المــــشفى

الـــيـوم التــالــي

(الحــادية عشرة ظهــرًا)

باكراً - كان هاشم وزوجته بلقيس - يجلسان في إحدى غرف المشفى عندما طرق أحدهم الباب مستأذنا، إنها الطبيبة وقد جاءت للقيام بإجراء بعض الفحوصات.

استغرقت الطبيبة بعض الوقت قبل أن تقول:

- لم يعد ثمة داعٍ لبقائك يا بلقيس، ويُمكنك المغادرة.

حملت بلقيس هاتفها وحقيبة تحوي بعض الغيارات وذهبت إلى دورة المياه الداخلية للغرفة؛ نزعت عن جسدها الرداء الأزرق الخاص بالمشفى وارتدت لباسها الخاص.

قالت حين أصبحت جاهزة:

أنستطيع رؤية ابنتنا قبل أن تذهب ؟



- إنها في منطقة يحظر الدخول إليها لغير المصرح لهم بالدخول.

- أرجوك دكتورة حنان، لا نريدها أن تعتقد أننا تخلينا عنها في مثل هذا الظرف الصعب.

- حسنًا - قالت وهي تستعد للمغادرة - سأرى ما أستطيع فعله.

**

في تلك الأثناء كان ذهن هاشم منصرفًا إلى الخطر القادم، وثمة سؤال واحد يشغل باله:

هل ستنجح الخطة ؟

أم أن للقدر ستكون الكلمة الأخيرة ؟

الفندق

الطابق التاسع

(مــناورة ضـــد القدر)

لقد زجّت بنفسها في غمار عملية خطيرة،

ولكن إن كان هذا هو الثمن المطلوب لاستعادة ابنها فإنها ستدفعه دون مبالاة بالعواقب.

في صباح ذلك اليوم:

كان بهو الفندق مكتظاً بالنزلاء .. تسللت راما بينهم دون أن تلفت أنظارهم للتوتر الذي كان يسيطر عليها، دخلت المصعد وضغطت زر الطابق التاسع.

نظرت إلى ساعة يدها - بينما كان المصعد يأخذها للأعلى - كان الوقت المحدد لإطلاق الرصاصة حسب المعلومات التي لديها هو الساعة الثانية عشرة ظهرًا وهذا يعني أنها تملك زُهاء الستين دقيقة فقط لمنع عملية الاغتيال.

كان هاشم قد أخبرها أن القناص - ووفقاً لما شاهده سابقاً - في كاميرات التسجيل سيغادر جناحه ويتجه إلى سلالم الطوارئ ليأخذ سيجارته الأخيرة.

تساءلت راما وقتها:

- ولماذا لم يدخن في جناح الفندق؟!

- الجناح (٩١٢) يقع في نطاق الأجنحة غير المسموح بالتدخين فيها؛ وهذا يعني أنه إذا قام بالتدخين هناك فمن الوارد أن تُطلق إنذارات الجناح طنينا يستدعي أمن الفندق للتدخل.

- مفهوم، وما هو المطلوب مني تحديدا في هذا الوقت؟!

- هذه الفرصة ستكون فرصتك الوحيدة للتسلل إلى داخل جناحه والاختباء ريثما يعود... وحين يعود سوف تختارين اللحظة المناسبة لمباغتته.

صمت هاشم لبعض الوقت، ولكن ليس لأن خطته انتهت بل لأن الجزء القادم كان هو الجزء الأهم في الخطة:

- **تذكري أنني أريده حيّاً.**

ثم ناولها مسدسًا مزوداً بقطعة كاتمة للصوت وقال:



- وبالرغم من ذلك إلا أنني مضطر لأعطيك ما تدافعين به عن نفسك عند الحاجة القصوى.

كانت راما في ذلك الوقت قد انتهت من تدريبات الكلية الأمنية، وتعرف كيف تتعامل مع السلاح، أخذت المسدس وخبأته في حقيبة يدها:

- أين ستكون أنت ؟

سأكون طوال الوقت في المشفى؛ يجب أن يسير كل شيء على وتيرته الطبيعية.

- حسنًا، تستطيع أن تعتمد علي.

- أرجوك .. كوني حذرة .. أنت هو الأمل الأخير.

**

توقف مصعد الفندق بها في الطابق التاسع، خرجت راما وسارت في الممر حتى اقتربت من الجناح رقم (٩١٢) مكثت مختبئة في نهاية الممر وجعلت تنظر إلى ساعة يدها وتردد بينها وبين نفسها بتوتر:

« هيا اخرج .. اخرج الآن »

**

لحظات ويُفتح باب الجناح،



خرج منه رجل طويل عريض المنكبين ضخم الجثة، يعتمر قلنسوة على رأسه ويغطي وجهه بكمامة طبية فلا يفْ شيء من ملامحه غير عينيه فقط.

سارت راما في الممر حتى إذا اقتربت منه ألقت بنفسها عليه متظاهرة وكأنها تعثرت بخطواتها، تلقفها القناص قبل أن تقع وساعدها على الاعتدال بمشيتها.

- آآآسفة، شكرًا لك على المساعدة.

أكمل القناص طريقه نحو سلالم الطوارئ، بينما أكملت راما طريقها نحو الجناح رقم (٩١٢) وفرحة الانتصار تعمرها بعد أن استطاعت اختلاس كرت الدخول من جيبه.

ولكن فرحتها لم تستمر طويلاً، فقد اكتشفت - عندما باتت تقف أمام باب الجناح - أن الكرت الذي اختلسته من جيب القناص لم يكن الكرت الممغنط المخصص لفتح الباب.

بل كان كرتاً عادياً يحوي رقمًا كُتب بخط اليد:

- تباًا!

**

كان الوقت يُداهمها والقناص سيعود في أي لحظة، وعليها أن تجد حلاً



لدخول الجناح قبل عودته .. لمحت في تلك اللحظة مرور أحد عمال الفندق.

واتتها فكرة علها تنجح:

- أنت .. أنت .. إذا سمحت !!!

توقف العامل ونظر إليها وعلى وجهه ابتسامة عريضة تشبه ابتسامة حيوان الكسلان:

- كيف أساعدك يا مدام؟!

- يا لي من غبية - قالت راما - في الحقيقة لقد أضعت كرت دخول الجناح وزوجي ليس هنا ليناولني الكرت الخاص به .. أتستطيع مساعدتي من فضلك؟!

كان الموظف معتاداً على تلقي مثل تلك الحالات يومياً،

أومأ لها بعلامة حاضر وأخرج من جيبه " بطاقة ذهبية اللون " بدت أنها المفتاح الرئيسي الذي يفتح جميع الأبواب، قال وهو يمرر بطاقته على القفل ويفتح الباب:

- تفضلي يا مدام



دخلت راما أخيراً جناح القناص، تقدمت نحو الغرفة التي تتمتع نافذتها بزاوية رؤية واضحة لباب المشفى، وهناك شاهدت بنفسها البندقية السوداء الكبيرة وقد نُصبت مكانها تنتظر ضغطة الزناد.

اختبأت في دولاب الغرفة وحبست أنفاسها.

**

لم تمضِ دقائق طويلة حتى عاد القناص وقد كان يحادث شخصاً على

الهاتف؛ أدركت راما أن الاتصال يعود للجهة التي يعمل القناص لمصلحتها كان ذلك واضحاً من خلال الردود التالية التي كانت تسترق السمع عليها:

- نعم، أتمتع بزاوية برؤية واضحة، ولكن هناك مشكلة.

- .. ..

- سرعة الرياح عالية جداً هذا اليوم، وقد تؤثر على مسار انطلاق الرصاصة.

بدا الطرف الآخر على الهاتف أنه يُصر على تنفيذ العملية بالرغم من تلك المشكلة؛ وهذا ما يفسر اتخاذ القناص مكانه خلف منظار البندقية وقوله:

- حسنًا، ولكنني أحتاج لدقائق إضافية قبل التنفيذ.

ثم وضع هاتفه على وضع " الاسبيكر " وانشغل بإعداد البندقية، كان صوت الطرف الآخر يتخلله بعض الصدى وكأنه يتحدث من غرفة خالية من الأثاث وكان خافتاً - وهو يُلقي بهذه التعليمات الأخيرة - مما جعل راما لا تُميز إن كان المتحدث ذكرًا أو أنثى:

- أريدها طلقة واحدة قاتلة.

رد القناص قائلاً: حسناً يا **أفروديت**

**

نظرت راما لساعة هاتفها،

كان الوقت المتبقي لتنفيذ العملية هو عشر دقائق فقط.

سوف تترك مخبأها الآن بينما هو منشغل بإعداد البندقية وتتسلل نحوه بهدوء شديد، وحين تصبح قريبة منه سوف تُسدد له ضربة قوية بكعب المسدس في منطقة ما خلف الرأس وتُفقده الوعي.

وما كادت راما أن تبدأ بتنفيذ الخطة حتى حدث شيء لم تكن تتوقع حدوثه حيث:

« طرق أحدهم باب الجناح »



أحسّت راما - ولسبب ما - بأن تلك الطرقات تخصها، لذلك تخشبت مكانها خوفًا وأحست بتيار من الكهرباء يسري في عروق جسدها وثمة سؤال واحد يدور بخلدها:

من عساه يكون الطارق؟!!



٩

غادر القناص مكانه ليفتح الباب، كان الطارق هو عامل الفندق نفسه الابتسامة العريضة والأشبه بابتسامة حيوان الكسلان وقد جاء مُمسكًا بطاقة بيده:

- هذه البطاقة للمدام.

تعجب القناص مما سمع وردد مستفهماً: المدام؟!

قبل قليل استوقفتني زوجتك يا سيدي، أخبرتني أنها أضاعت كرت الدخول وطلبت مني المساعدة في فتح باب الجناح .. وقد صنعت لها كرتاً بديلًا للذي ضاع منها.

في هذه اللحظات كانت راما المختبئة داخل الدولاب تلطم على وجهها، وتتمنى لو أن الأرض تُشق وتبلعها.

لقد أدرك القناص الحقيقة: هناك شخص ما تسلل إلى جناحه أثناء ذهابه إلى سلالم الطوارئ الجانبية للفندق .. ولأنه لم يكن يريد أن يضع

نفسه موضع الشك قرر حل الموضوع بنفسه فأخذ الكرت من عامل الفندق وقال بصوت حاول معه أن يبدو طبيعيًّا:

- سأحرص أن يصلها الكرت.

**

أغلق القناص باب الجناح، استدار وأخرج مسدسًا صغيراً كان يخبئه أسفل قميصه للحالات الطارئة ثم قال ساخرًا وهو يتلفت حوله مستعدّاً لأي مفاجأة:

- لم يعد ثمة داعٍ للاختباء، اخرجي يا زوجتي العزيزة.

**

كانت راما تعلم أن القناص لن يسمح لها بمغادرة الجناح بعد أن رأت الحقيقة، سوف يقتلها بالتأكيد وينصرف بعدها لتنفيذ عملية الاغتيال.

لم تكن تعرف كيف تتصرف:

- سامحني يا هاشم - همست مرتبكة - لقد فشلت في مهمتي.



المشفى
الحادية عشرة
وثلاثون دقيقة، ظهراً.

عادت الطبيبة لتخبرهما - تخبر الزوجين - بالتالي:

- بالتنسيق مع بعض الزملاء في القسم استطعت أن أتدبر لكما مدة قصيرة لرؤية الابنة.

ثم أردفت وهي توزع بصرها بين هاشم وبلقيس وتشير بأصابعها:

- خمس دقائق فقط، وهذا أكثر ما نستطيع فعله.

بلقيس وهي تكاد تقفز لفرط الفرح:

- اتفقنا، خمس دقائق لا أكثر

- حسنا، تعالا معي.

قادتهما إلى أحد أقسام المشفى

« العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة »

حيث كانت ترقد ابنتهما بوضع جنيني داخل أنبوب بلاستيكي مملوء بسائل ما.

جعلت الطبيبة تشرح لهما عن ذلك الاختراع،

بينما هاشم كان يستغرق النظر إلى طفلته من خلف زجاج الحضانة وابتسامة غامضة ترتسم على شفتيه، تشبه ابتسامة من يلتقي بشخص عزيز كان يعرفه منذ مدة طويلة.

**

استمرت الطبيبة تشرح لهما عن ذلك الجهاز - الرحم الصناعي - حتى انتبهت بعد قليل إلى أنهما لا يُلقيان بالاً لها مما جعلها تقرر التوقف عن الشرح والانسحاب.

**

تركتهما هناك لمدة تزيد على الوقت المتفق عليه بقليل، ثم عادت أخيراً لتقول:

- لقد انتهت الدقائق الخمس.

رافقتهما حتى نهاية حدود قسم العناية المركزة، وأخبرتهما وهي تُلقي عليهما تحية الوداع أن إدارة المشفى ستقوم بالتواصل معهما في الأيام التالية عندما يُصبح بمقدورهما العودة لأخذ الطفلة.

**

كان هاشم خائفًا من مغادرة المشفى،

ولكنه في الوقت ذاته كان عليه أن يلتزم بالخطة ويثق بـ راما ...

**

وبينما كان هاشم يهبط سلالم المشفى وإلى جواره بلقيس، إذ توقف فجأة بعد أن..

سمع صوتاً ..

لم يكن صوت طلقة الرصاص هذه المرة، بل كان رنين الهاتف، ضغط زر الرد فأتاه صوت راما تقول بنبرة حماسية لاهثة:

- **زال الخطر، لقد قبضت على ابن الكلب.**



الفندق

(بعد قرابة الساعة)

تعالى صوت طرقات على باب الجناح (٩١٢) فتحت راما الباب وقالت تعاتبه:

- ما الذي جعلك تتأخر كل هذا القدر يا هاشم ؟

- كان عليّ أن أوصل زوجتي للمنزل أولاً.

- هل أخبرتها بالحقيقة ؟

- لا أريد أن أفزعها، سأخبرها عندما ننتهي من هذا الكابوس

- هذا أفضل

- أين القناص؟!

- مشغول بتوديع ذكورته

- ماذا تعنين ؟



- تعال وستعرف بنفسك..

قادته إلى الغرفة الرئيسة، وهناك شاهد القناص مغشياً عليه وقدماه مقيدتان بالحبال بعضهما إلى بعض، ويداه مكبلتان خلف ظهره وقد استحال وجهه إلى اللون البنفسجي:

- لقد كشف أمري وكاد أن يقتلني لولا أنني تداركت الأمر.

وكان هذا ما حدث معها:

عندما أدركت راما أن أمرها قد كُشف عرفت أنه لم يعد ثمّة سبب للبقاء مختبئة وسط الدولاب؛ لذلك حين دخل القناص - وقد كان مسدسه بوضع الاستعداد - وجدها أمامه وقد كانت مستعدة أيضًا وتوجه مسدسها نحوه .. بقي الاثنان يحدقان بعضهما البعض وكل واحد فيهما يوجه سلاحه نحو الآخر.

كان عليها أن تقنعه باللجوء إلى حلٍ آخر:

- إطلاق الرصاص قد يجذب انتباه أمن الفندق إلينا.

كان كلامها منطقيًا فبالرغم من أن هناك قطعة من كاتم الصوت مثبتة بمسدس كل واحد منهما، إلا أن الكاتم يعمل فقط على تخفيض الصوت وليس على إخفائه بشكل نهائي:

- ماذا تقترحين ؟



- أن نتعارك بالأيدي

- ولكنني لا أضرب النساء

- هذا الكلام يليق بالرجال فقط؛ وأنا لا أرى أمامي رجلا.

- يلزمك بعض التهذيب أيتها الفتاة .. مع العد إلى ثلاثة سيُلقي كل واحد منّا مسدسه.

- دعنا نتفق على عدم شد الشعر أو العض، أو الضرب على الوجه.

- واحد .. اثنان ..

- لحظة، ألا يوجد لديك شروط ؟

متجاهلا سخريتها أكمل العد حتى ثلاثة وعند تلك اللحظة ألقى كل واحد منهما سلاحه .. كان القناص يفوقها في المتانة الجسدية .. وبدا أن نتيجة المعركة محسومة لمصلحته منذ البداية.

ولكنه لم يأتِ بباله أنه بصدد مواجهة ضابطة مُدربة على قتال الشوارع وأن لديها من المهارة ما يضمن لها القدرة على الانتصار في معركة ضد خصوم يفوقونها عددًا وقوة.

وجّه نحوها لكمة قوية،

ولكن راما استطاعت أن تتفاداها بمرونة وسرعة مذهلتين، ثم قامت بالالتفاف عليه واستغلت قربها منه ووجهت له بركبتها ضربة سريعة

محكمة في المنطقة ما بين قدميه جعلته يسقط أرضاً وقد انقطعت أنفاسه.

قالت تسخر منه وهي تُقيد أطرافه:

- كان يُمكنك أن تشترط عدم لمس هذه المنطقة.

**

قال هاشم وهو يُعاين القناص المغشي عليه:

- أعتقد أنك بهذه الضربة قد قطعتِ نسله للأبد.

- أحسن.

قال مازحًا:

- لا ألوم زوجك عندما هرب منك.

أما هي فقد تحسست من كلامه وأخذته على محمل الجد، فقالت تحذره

- كلمة إضافية أخرى في هذا الموضوع وسأقطع نسلك أنت أيضًا.

متجاهلا تهديدها الظريف، قال مبتسماً:

- دعينا ننتقل إلى الخطوة الأخيرة.



كانت الخطوة الأخيرة تقتضي إخراج القناص من الفندق دون أن يلحظ ذلك أحد ولتحقيق ذلك أشعل هاشم النار في علبة سجائر القناص وقرب طرفها المشتعل من جهاز كشف الحرائق .. وما هي إلا بُرهة من الوقت حتى بدأ طنين الإنذار يعمّ أرجاء الفندق وصوت آلي يخرج عالياً عبر مكبرات الصوت يقول محذرًا النزلاء:

«ا لرجاء إخلاء المكان فورًا »

« الرجاء إخلاء المكان فورًا »

ومع تكرار تلك الجملة التحذيرية مراراً وتكرارًا بدأت الفوضى تعمُّ أرجاء المكان، وأصبح الجو ملائماً للتحرك: حيث أحضرت راما إحدى العربات الكبيرة التي يستخدمها عمال النظافة في نقل الملاءات المتسخة..

كان حوض العربة المصنوع من القماش يتسع لأن يحتوي جسد رجل بالغ .. وهكذا - ومع الفوضى التي ما زالت مستمرة ورشاشات المياه المنهمرة من صنابير الإطفاء المعلقة في السقوف - استطاع هاشم وراما إخراج القناص من الفندق دون أن ينتبه إليهما أحد.



الحقيقة

١

استيقظ القناص عندما حلّ الليل ليجد نفسه مُقيداً فوق كرسي من الخشب، يقبع وسط مخزن مليء بالكراكيب ومُضاء بواسطة إنارة خافتة.

كان السؤال الأول الذي جاء بباله هو:

- أين أنا ؟

جلب هاشم كرسياً وجلس مقابلا له:

- أنت الآن في منزلي.

- أطلق سراحي

- ليس قبل أن تُجيب على أسئلتي.

- ماذا تريد أن تعرف؟

- الجهة التي تقف خلف محاولة الاغتيال.

- أنت بالذات لن تعجبك الحقيقة يا هاشم.

لم يرتح هاشم لتلك العبارة:

ماذا تعني بهذا الكلام ؟

تجاهل القناص سؤاله، وانعطف الموضوع آخر:

- كيف حال ابنتك ؟

اعتبر هاشم ذلك السؤال نوعاً من التهديد؛ مما أفقده أعصابه وجعله ينقض عليه ثائراً، سدد إلى وجهه عدة لكمات قوية متتالية جعلت الدماء - دماء القناص - تلتصق بقبضتي يديه وتطير إلى ملابسه ووجهه.

كانت راما تمكث خارج المخزن

لقد أمرها هاشم بذلك؛ فبعد أن أوسعت القناص ضرباً كان من المهم أن تبقى بعيدًا عن نظره حتى لا يتسبب وجودها في عدم استجابته للتحقيق.

ولكن أصوات الضرب والصراخ التي حدثت في الداخل جعلتها تضطر لتترك مكانها وتقتحم المخزن:

- هاشم توقف !! .. سوف يموت بين يديك !!

صاح هاشم غاضبا:

- كاد أن يُفقدني اليوم أعز ما أملك، ثم يُهددني الآن بابنتي !!

- قتلك إياه لن يعطيك الأجوبة التي تنتظرها.

أمسكه من ثيابه وصرخ عليه:

- من الجهة التي تقف خلف محاولة الاغتيال؟!!

- .. .. ..

تدخلت راما تُلقي على القناص سؤالها:

- ومن أفروديت الذي سمعتك تتحدث معه عبر الهاتف؟!

نظر هاشم إليها - إلى راما - وكان يسمع ذلك الاسم أول مرة، فقالت تفسر له:

- كان اسم أفروديت هو الاسم الذي أعطاه أمر الإطلاق.

عاد هاشم يلتفت نحو القناص ويسأله:

- أخبرني عن أفروديت

بصق القناص الدماء من فمه؛ حتى يستطيع إخراج الحروف بشكل أوضح:

- لا أستطيع أن أخبرك.



سحب هاشم المسدس وضرب طلقتين نحو القناص - واحدة بالقرب من أذنه اليمنى، وواحدة بالقرب من أذنه اليسرى - ثم وجّه فوهة المسدس نحوه:

- الثالثة ستذهب إلى رأسك.

كان القناص يعلم أن هاشم لا يهدد عبثا وأنه سيطلق عليه النار في حال عدم الاستجابة، كان عليه أن يعطيه الحقيقة التي يستطيع كشفها له:

- عندما يصلهم الخبر سيأتون؛ وحينها سوف تتعرف عليهم بنفسك.

- من هم الذين سيأتون؟!!

- لا أستطيع أن أخبرك ولكنني أؤكد لك أنهم لن يتأخروا كثيراً.

**

أدرك هاشم أن القناص لا يخضع للتهديد؛ وهذا غالبًا يعود إلى أنه يخاف من - أولئك الأشخاص - أكثر من خوفه حتى من الموت .. لذلك كان عليه أن يسلك طريقاً آخر " كان عليه أن يستخدم ذكاءه " في الوصول إلى ما يريد.

**

وضع المسدس جانبًا، شمّر أكمامه وأخذ بيده بعض المناديل..

٢

قرب الكرسي من القناص أكثر حتى بات يستطيع الاستماع لصوت نبضات أنفاسه المتوترة.

قال هاشم وهو ينظر إلى عميق عينيه:

- مع الوقت يصبح القاتل المتسلسل والموت صديقين حميمين، وتصبح العلاقة بينهما كعلاقة التاجر وبائع الجملة، بحيث لا يستطيع أحدهما مواصلة عمله مستغنيًا عن خدمات الطرف الآخر.

بلل هاشم المناديل ببعض رشفات من العطر وجعل يطهر بها الجروح عن وجه القناص ويقول:

- المسافة الطويلة بين الفندق والمشفى، سرعة الرياح ومخاطرة تنفيذ عملية الاغتيال مع وجود المدنيين في الجوار .. كل هذه العوامل تتطلب قاتلًا محترفًا .. وبما أنك قاتل محترف فهذا يعني أنك لا تخاف الموت؛ لذلك لا تبدو خائفًا من تهديدي لك بالقتل.

واصل كلامه:

- الجهة التي تستخدمك تعلم أيضًا أنك لا تهاب الموت؛ لذلك فلا بد أنهم قاموا بتهديدك بشيء أكبر في حال قمت بخيانتهم، ربما هددوك بتصفية عائلتك أو قتل شخص عزيز عليك مثلا.

كان القناص ينظر إلى عيني هاشم طوال الوقت، ولكنه خفض بصره في اللحظة التي سمع فيها هذه الجملة: "ربما هددوك بتصفية عائلتك أو قتل شخص عزيز عليك مثلا "

مما جعل هاشم يدرك أنه وضع إصبعه أخيرا على الشيء الذي كان يفتش عنه: إنها نقطة الضعف التي يستطيع أن يساوم عليها قال:

- أستطيع أن أحميك منهم.

واصل القناص التزامه الصمت بينما هاشم يعلم أنه كان يقف على حافة دفعه للاعتراف.

- سأوفر الحماية لك، ولكل شخص هددوك بقتله.

استجاب القناص أخيراً:

- لدي شرط قبل أن أتحدث

- أسمعك

قال وهو يشير برأسه نحو راما:

- أريدك أن تُخرج هذه الفتاة من هنا.

قالت راما وقد بدا عليها الانزعاج من ذلك الشرط:

- أنت لست في الوضع ولا المكان ولا القوة التي تسمح لك بوضع شروطك.

- لن أتحدث إذاً.

- يبدو أن ضربتي لك حولتك إلى فتاة صغيرة مدللة.

- فكي وثاقي وسأجعلكِ ترين كيف أحولك إلى فتاة ليل ساقطة.

فصل هاشم بينهما قبل أن يتحول الوضع إلى مشاجرة بالألسن غير محسوبة العواقب:

- راما غادري المكان.

كانت تريد أن تعترض على قراره، ولكنه لم يمنحها الفرصة:

- لقد أنهيتِ المهمة التي طلبت منك القيام بها، وسوف أقوم بتنفيذ ما اتفقت معك بخصوصه بعد عدة أيام .. والآن غادري المكان دون مزيد من الثرثرة.

القناص ساخرًا وهو يراها تغادر:

- وتخرجين مطرودة كما تُطرد فتيات الليل الساقطات.

أدخل هاشم يده داخل فم القناص وأمسك لسانه:

- سوف أقطعه لك عدت للحديث عنها مرة أخرى، هل هذا مفهوم؟!

هز القناص رأسه، بينما قال هاشم يأمره:

- اعتذر لها.

لم يعتذر القناص،

قرص هاشم على لسانه بقوة مما جعله يقول:

- آآآآثثثف، أنا آآآآآثف.

فتحت راما باب المخزن، قالت قبل أن تغادر لتغيظه:

- أحسنتِ أدبا أيتها الفتاة الصغيرة المدللة.

**

هاشم ملتفتا نحو القناص:

- لقد أخرجتها كما طلبت، فأخبرني عن أفروديت.

- هل تعدني بالأمان؟

- ما اسمك ؟

- آسر



قال هاشم:

- أعدك بأن أوفر لك محاكمة عادلة يا آسر، وأن أذكر للسلطات تعاونك معي لغرض تخفيف الحكم عليك.

**

بدا القناص "آسر" راضيا عن تلك الصفقة فقال:

- خذني إلى مركز الشرطة، وهناك سأخبرك عن أفروديت وعن المنظمة التي تقف خلف عملية الاغتيال.

- لماذا الشرطة ؟

- لأنهم الوحيدون القادرون على حمايتي منهم، أنصحك يا هاشم أن تُعجل بأخذي إلى أقرب قسم للشرطة؛ لأنك لا تتخيل السرعة التي قد يصل بها أولئك الأشخاص لنا حالما يصلهم الخبر.

في تلك اللحظة تسلل إليهم من أسفل الباب تيار من نسيم الشتاء البارد القناص - المبلل بدمائه - يرتجف مرعوبا وهو يلفظ الكلمات التالية:

- إنهم قادمون لا محالة.



٣

غادر هاشم المخزن، فشاهد راما تقف بالقرب من الباب وقد بدت أنها استمعت لكل الكلام الذي دار بينه وبين القناص، همس قائلاً بصوت خفيض:

- ظننت أن الغضب دفعك للرحيل.

- لستُ ممن يتركون أصدقاءهم المستقبليين عند منتصف الطريق

رغم توتر الموقف إلا أنها استطاعت أن تجعله يبتسم، وقالت تعبر له عن قلقها:

- هناك شيء لا يبعث على الاطمئنان، قلبي يخبرني أن هناك شيئاً فظيع سيحدث في قادم الوقت .. إنه يتحدث عن منظمة خطيرة قد تهاجمنا في أي لحظة لتقتله وتقتل الحقيقة معه؛ لذلك يجب أن نتحرك بسرعة ودون تأخير.

- هذا ما سيحدث، ولكن قبل ذلك عليّ أن أصعد إلى غرفتي لأصطحب معي بعض الأوراق الثبوتية التي سوف تجعلنا نتحرك بطريقة أسهل في

أروقة مركز الأمن .. وربما أهاتف بعض الجهات التي سوف توفر لنا الحماية ضد أي هجوم قد نتعرض له في الطريق.

- وبلقيس؟

-ماذا عنها؟

- هل ستدعها هنا، أم أنك سوف تصحبها معنا؟!

- في الحالات الطبيعية لم أكن لأفكر بأن أشركها في أمر مشابه، ولكن في هذه الحالة أعتقد أنني لن أطمئن عليها إلا إن كانت قريبة مني؛ فأستطيع حمايتها عند الخطر.

- سوف أنتظرك هنا ريثما تحضر الأوراق وتعود معها إذاً.

- انتظريني في المخزن؛ فهذا القناص خطير ولا أريده أن يغيب عن عينيك لحظة.

قالت راما تحذره:

- ولكنني سأوسعه ضربًا إذا جاءتني منه كلمة قبيحة واحدة.

- ستدخلين من الباب الخلفي للمخزن ولن ينتبه لوجودك.

دخلت راما دون أن ينتبه عليها القناص،



لم يكن السبب - سبب عدم انتباهه إليها - يعود إلى حركتها الهادئة وهي تدخل من الباب الخلفي للمخزن فقط بل يعود أيضا إلى الوضع العام الذي كان عليه الأمر: فالمخزن كان ممتلئًا بالكراكيب وكانت له إضاءة خافتة، والقناص كان منشغلًا بالجروح التي ملأت جسده وجعلته منصرفًا لأوجاعه أكثر من مراقبته لما يحدث حوله.

**

جلست راما في أقصى الزاوية، تماماً خلف لوح من الخشب العتيق الذي بدا أنه كان مسنودًا على زاوية المخزن منذ مدة طويلة، واتخذت من مكانها ذاك مرصداً خفيًا تراقب القناص من خلفه.

. . .



المـــخـزن

كانت راما ما تزال تختلس النظر على القناص من خلف لوح الخشب، مثل لبؤة تراقب فريستها من وراء الحشائش بصمت وصبر وحكمة.

مرت عشر دقائق وهي على ذلك الوضع مما جعلها تتساءل بشأن تأخر هاشم؛ لقد استغرق داخل المنزل وقتاً أطول مما ينبغي له في هذه الحالة الحرجة.

وبينما كانت تتساءل عن أسباب تأخره ذاك إذ التقطت أذناها أصوات حفيف أقدام تقترب من المخزن، قالت في نفسها " عاد هاشم أخيراً" ولكن باب المخزن حين فُتح كشف عن قدوم شخص آخر .. شخص لم يكن من المتوقع حضوره ذلك الوقت:

كان القادم بلقيس

دقّ قلب راما بقوة وتساءلت في نفسها ما الذي جاء بهذه إلى هنا؟!!

لم تبدُ بلقيس خائفة من ظلام المخزن ولا من الشخص القابع المكبل فيه، سارت نحو القناص بخطوات ثابتة حتى إذا أصبحت تقف أمامه مباشرة مدت يدها نحوه ونزعت عن فمه الشريط اللاصق.

قالت بنبرة باردة:

- ما كان يجب أن تخفق في مهمتك يا آسر.

زاغت عيناه وهو يرى يدها الأخرى ترتفع بالمسدس وتضع فوهته عند قلبه، فتح فمه ليصرخ طالبًا النجدة ولكنها انحنت عليه عند تلك اللحظة وأغلقت بشفتيها فمه، وحين انتهت من تلك القبلة زحفت بشفتيها ببطء إلى عند أذنه وهمست فيها بهذه الكلمات الخمس كما أفعى تهمس في أذن فريستها:

- **اطمئن طفلتنا سوف تكون بخير**.

- لا تدعي الغضب يُنسيكِ من أكون يا **أفروديت**

- لم أنسَ، ولكنك تعلم عقوبة الفشل لدينا.

ثم ارتفع صوت الطلق الناري للمسدس لتشق الرصاصة نفق الموت في قلب القناص وتعبر من الجهة الأخرى لجسده.

**

وبينما رائحة الموت والبارود تعبق في أرجاء المخزن إذ أخرجت بلقيس الهاتف - هاتفها - وأجرت مكالمة مع الشرطة، قالت بنبرة بكاء وذعر مزيفة:

- أريد أن أبلغ عن جريمة قتل، لقد رأيتُ زوجي يقتل شخصا في مخزن منزلنا.

**

حين انتهت المكالمة أغلقت الخط وغادرت حيث كانت تنتظرها سيارة ما عند باب الفيلا .. بينما الخوف الشديد يُكبل أطراف راما القابعة وراء اللوح الخشبي في زاوية المخزن ويمنعها من التفكير أو الحركة.

لم يطل بقاء راما داخل المخزن وقتاً طويلاً؛ لقد استوعبت أن عليها الهرب قبل وصول الشرطة ولكنها أرادت أن تتفقد هاشم قبل رحيلها، فدخلت الفيلا وبدأت تمشي وتناديه بصوت هامس:

- هااااااشم هاشم !!

ولم تتوقف حتى شاهدت جسده - في ظلام المنزل - ممدداً على الأرض دون حراك كما لو أنه جثة هامدة .. لم تواتها الشجاعة لتتقدم حتى تعرف إن كان حيّاً أو ميتاً .. تركته مكانه وركضت مبتعدة في الشارع بينما سيارات الشرطة تنطلق في الاتجاه المعاكس نحو الفيلا لمباشرة بلاغ القتل..

**

في تلك الأثناء - وبينما راما تواصل ركضها مبتعدة من هناك - إذ فجأة ربطت مخيلتها الأمور بعضها ببعض .. وتجلّت لها الحقيقة الصادمة:

لقد كان الشخص الذي دبّر عملية الاغتيال هو "بلقيس" وكان هاشم هو الهدف .. ولو أن القناص أطلق الرصاصة من الفندق ذلك الوقت لكانت سرعة الرياح (يد القدر) ستقوم بالتأثير على مسار الطلقة؛ فتجعلها تخترق جسد بلقيس بدلاً من هاشم.

. . .

استمرّت راما في الركض وهي تبكي لفرط خوفها من الحقيقة التي اكتشفتها، وثمة أسئلة كثيرة تتقافز داخل رأسها مثل عُصبة من قردة الشياطين الملعونة:

ما هي حقيقة بلقيس؟! ومن الجهة التي تقف خلفها وما هو الهدف الذي يسعون لتحقيقه، وما الذي كانت تعنيه عندما همست للقناص قبل أن تقتله قائلة:

"اطمئن، طفلتنا سوف تكون بخير "

والسؤال الأهم:

" ما هو المصير الذي ينتظر هاشم،

وما الذي سوف يفعله عندما يكتشف الحقيقة؟! "

واصلت راما الركض ولم تتوقف إلا بعد أن اصطدمت بها سيارة مجهولة مُطفأة المصابيح وأسقطتها أرضًا.

**

تستمر الأحداث في الجزء الثاني من أرسس

المؤلف: أحمد آل حمدان



أتعرف ما هو أسوا من الموت ؟!

إنها الحقيقة التي تنتظرك بالداخل.

أحمد آل حمدان